بصائر قرآنية

في سورة النمل

محمود حسن حجازي

الطبعة الأولى

2024 - 1446

حقوق الطبع محفوظة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بصائر قرآنية في سورة النمل

محمود حسن حجازي

الطبعة الأولى
2024 – 1446

كل الحقوق محفوظة

قال الأصفهاني: "رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الحشر: ١٨

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعتبر سورة النمل من السور التي حوت منظومة من قصص القرآن التي جاء ذكرها بغرض تثبيت أهداف وغايات السورة، وتصوير عاقبة المكذبين، وبيان عاقبة المؤمنين، حيث جاءت فيها قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع النملة وقصته مع الهدهد وقصته مع ملكة سبأ بلقيس، وتحدثت السورة أيضاً عن قصة نبي الله سبحانه وتعالى صالح عليه السلام ومكر قومه، وعن نبي الله سبحانه وتعالى لوط عليه السلام، وارتكاب قومه للفواحش، ومحاولته تقديم النصيحة لهم وما عاناه في سبيل دعوتهم إلى الله عز وجل للإيمان به وحده وترك ما كانوا يعبدون من آلهة من دون الله سبحانه وتعالى، غير أنّهم قابلوه بالتهديد فأهلكهم الله سبحانه وتعالى بما عملوا في قصة معلومة التفاصيل حيث جاء بيانها في العديد من سور القرآن الكريم، بالإضافة إلى قصة موسى عليه السلام، وتحديداً موضع رؤيته للنار بعد عودته من مدين ومناداته من الملأ الأعلى وتكليم الله عز وجل له، حيث كانت من تلك النقطة بدأ تكليفه بالرسالة لتبليغها إلى فرعون وملأه، وغير ذلك من المواعظ والقصص، حيث إنّ كتاب الله سبحانه وتعالى في جميع سوره جاء إما شارحاً لقصص ووقائع حدثت في الماضي، وإما مُبيناً لأحكام شرعية على وجه التفصيل، وإما ذاكراً لها على سبيل الإيراد، وتعتبر سورة النمل من طوال السور في كتاب الله سبحانه وتعالى فهي مكوّنة من عدة صفحات، لذا سنتحدث في هذه المقالة عن جميع تفاصيل سورة النمل وبيان سبب تسميتها، والقصص التي احتوت عليها ومكانتها بين باقي سور القرآن الكريم وغير ذلك من الأمور المتعلقة بها حسب ما تكلم به علماء القرآن وعلومه.

تناولت سورة النمل في نهايتها بعد إيراد القصص السابقة وبيانها بعض الأدلة التي تُشير إلى وجود الله ﷻ، وعظيم قدرته من خلق السماوات والأرض، والأنهار والجبال مما يُبرهن على وحدانيته واستحقاقه للعبادة لانفراده بالخلق والإيجاد.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

العبد الفقير إلى ربه ﷻ

محمود حسن حجازي

أبو حازم

فلسطين – غزة

2024 -1446

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بطاقة تعريف

أولاً: تعريف سورة النمل:

سورة النمل هي السورة السابعة والعشرون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثامنة والأربعون بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الشعراء، وقبل سورة القصص، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي سورة مكية بالإجماع، نص على ذلك كثير من المفسرين، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية.

ثانياً: سبب التسمية:

أشهر أسمائها "سورة النمل"، وكذلك سُميت في "صحيح البخاري"، و"جامع الترمذي"، وتسمى أيضاً "سورة سليمان عليه السلام"، وهذان الاسمان اقتصر عليهما السيوطي في "الإتقان" وغيره.

وذكر ابن العربي في "أحكام القرآن" أنها تسمى "سورة الهدهد"؛ ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ (النمل) ولفظ (الهدهد) لم يُذكرا في سورة من القرآن غيرها"

قال المهايمي: "سميت بها؛ لاشتمالها على مقالتها -أي مقالة النمل لقومها- الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، عن ارتكاب المكاره عمداً، وهو مما يوجب الثقة بهم، وهو من أعظم مقاصد القرآن"[1]، وقد قيل: سميت النمل؛ لأن قصة سليمان عليه السلام مع النمل أخذت حيزاً كبيراً منها.

وأما تسميتها "سورة سليمان عليه السلام"؛ فلأن ما ذُكر فيها من مُلك سليمان عليه السلام مفصلاً، لم يُذكر مثله في غيرها، وسمّيت سورة النمل بهذا الاسم؛ لأنّ قصة وادي النمل قد ذُكرت في ثناياها، حيث وردت فيها نصيحة نملةٍ في سربٍ من النمل لمن

[1] محاسن التأويل للقاسمي (7/ 483)

معها بدخول الجحور الخاصة بهنَّ خشية أن يدهسهنّ سليمان عليه السلام وجنوده وهم لا يعلمون بوجودهن ولا يرونهن لصغر حجمهن.

ثالثاً: مقاصدها:

مقصود السورة الرئيس -كسائر السور المكية- هو العقيدة: الإيمان بالله عز وجل، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله عز وجل، لا يعلمه سواه، والإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله سبحانه وتعالى على البشر، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله عز وجل، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى.

ثم يأتي القصص لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين بها، وعاقبة المؤمنين، وتسلط السورة الضوء على العلم، حيث تبرز صفة العلم في جو السورة، تظللها في سياقها كله من المطلع إلى الختام، ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل؛ علم الله سبحانه وتعالى المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة، وآياته الكونية التي يكشفها للناس.

ومن مقصود السورة وصف القرآن الكريم بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة.

ومن مقاصدها أيضاً: الاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي، وهو مُلك داود، وملك سليمان عليهما السلام، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها: الإشارة إلى ملك عظيم من العرب، وهو ملك سبأ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي ﷺ.

ومنها: محاجة المشركين في بطلان دينهم وتزييف آلهتهم وإبطال أخبار كهانهم وعرافيهم، وسدنة آلهتهم، وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها.

ومنها: موادعة المشركين وإنباؤهم بأن شأن الرسول ﷺ الاستمرار على إبلاغ القرآن، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها، والله ﷻ مطلع على أعمالهم.

ومنها: بيان فضله ﷻ على عباده بإجابة دعوة المضطر إذا دعاه، وكشفه السوء عنه، وجعل الإنسان خليفة في الأرض، وتذكيره ﷻ عباده بهدايته لهم في ظلمات البر والبحر، وإرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته.

ومنها: تذكيره ﷻ بذاته العلية؛ إذ يبدأ الخلق ثم يعيده، وبرزقه ﷻ من السماء والأرض.

ومنها: تنبيهه ﷻ عباده أنه لا يعلم من في السماء والأرض الغيب غيره، وأن أكثر العباد غافلون عن الحقائق الإيمانية التي جاءتهم بها الرسل عليهم السلام، وعن الحقائق الكونية التي بثها ﷻ في هذا الكون، وأنهم يتداركون جهلهم عندما يبعثون، ويعلمون ما لم يكونوا علموه من قبل بالعِيان، لا بالأفهام.

ومنها: أمره ﷻ عباده أن يسيروا في الأرض؛ ليعلموا مكانهم فيها، والعبر من أهلها، إذ طغوا، وأكثروا فيها الفساد.

ومنها: تذكير العباد بعلامة من علامات قيام الساعة، وهي خروج دابة من الأرض، التي تُظْهِر حقيقة المؤمن من الكافر.

ومنها: بيانه ﷻ بالإشارة الواضحة حال الناس يوم الحشر، يوم الهول العظيم يوم البعث، وحالهم يوم الحساب والثواب والعقاب، وحالهم وهم يقدمون على العذاب.

ويأتي ختام السورة بأمر العباد بعبادة الله ﷻ وحده، الذي بيده الأمر كله، والأمر بحمده ﷻ على ما أعطاهم من نعم لا تُعدُّ ولا تحصى، وإنذار العباد بأنه ﷻ سيريهم آياته القاهرة والباهرة، فيعرفونها، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وأنه ﷻ ليس بغافل عما يعمل عباده، بل يعلم كل صغيرة وكبيرة، فيجازي كلاً بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شر فشر.

رابعاً: مناسبة سورة النمل لسورة الشعراء:

تتناسب سورة النمل مع السورة التي تسبقها (سورة الشعراء) من عدة وجوه، وبيانها فيما يأتي:

1. تعتبر سورة النمل في ذكرها لقصة أنبياء الله داود وسليمان وصالح وموسى عليهم السلام، كالتتمة لما جاء في سورة الشعراء في بيانها لقصص الأنبياء عليهم السلام وإيراد بعض قصصهم، وفي ذلك ترابطٌ واضحٌ بين السورتين.
2. تحمل سورة النمل في ثنايها تفصيلاً لما جاء مجملاً في سورة الشعراء من حيث بيان جزيئاته وتفصيل مجمله.
3. تتشابه سورة النمل مع سورة الشعراء تشابهاً موضوعياً في وصف القرآن الكريم وبيان أنّه من عند الله ﷻ وأنّه وحده المنفرد بالخلق وهو وحده المستحق للعبادة.
4. كان نزول سورة الشعراء وسورة النمل وسورة القصص متتالياً من حيث التاريخ، وكذلك الأمر بالنسبة لترتيبها في المصحف حيث جاءت السور الثلاثة السابقة متعاقبةً في الترتيب، وفي ذلك إشارةٌ واضحةٌ للترابط بينهن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

5. تلتقي سورة النمل وسورة الشعراء في وحدة القصد والغاية من القصص القرآني وهو تسلية النبي ﷺ وتخفيف عنه مما كان يلاقيه في تلك الفترة تحديداً من قومه وإعراضهم وأذاهم له وتكذيبهم لما جاء به من الرسالة، وعدم إيمانهم بالله ﷻ.

خامساً: فقه الأحكام في سورة النمل:

تناولت سورة النمل الكثير من الأحكام لتنوع الموضوعات فيها، ومن تلك الأحكام ما يأتي:

1. جاءت آيات القرآن الكريم هادية ومبشرة للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصدّقون بالآخرة تصديقاً لا شك فيه، وجاءت منذرة للذين لا يصدّقون البعث بالعقاب المعنوي كالحيرة والضلالة، والعقاب المادي في الدنيا والآخرة.

2. تكررت قصة نبي الله موسى عليه السلام في العديد من سور القرآن الكريم؛ لما تضمنته من موعظة وعبرة من قوة الإيمان بالله ﷻ وعظمة النبوة.

3. تعدّ نعمة العلم من أعظم النعم وأشرفها وأرفعها منزلة تقتضي شكر المنعم على فضله وإحسانه.

4. يعتبر أدب الخطاب مهماً خصوصاً في مجال الدعوة إلى الله ﷻ.

5. يعتبر من آثار الرسالة النبوية انقسام الناس إلى فريقين مؤمنين وكافرين.

6. لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله؛ لذلك كانت عاقبة قوم ثمود الهلاك بسبب كفرهم ومكرهم.

7. لا يُعذّب الله ﷻ قوماً إلا بعد إنذارهم، وذلك من عدله ﷻ.

8. يعلم الله ﷻ وحده الغيب، وهو وحده المستحق للعبادة.

القرآن مبشر للمؤمنين
منذر للكافرين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة الأولى

القرآن مبشر للمؤمنين منذر للكافرين

﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ ﴾ النمل: ١ - ٦

﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾

﴿ طسٓ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه قسم أقسم الله ﷻ به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هو اسم الله ﷻ الأعظم. **والثاني**: اسم من أسماء القرآن، قاله قتاده. **والثالث**: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي"[1]

﴿ طسٓ ﴾ يشير إلى طهارة الطور وذي طوى منه وطيب طيبه، وسعد بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام التي انتشر منها الناهي عن الظلم، وإلى أنه لما طهر ﷻ بني إسرائيل، وطيبهم بالابتلاء فصبروا، خلصهم من فرعون وجنوده بمسموع موسى عليه السلام للوحي المخالف لشعر الشعراء، وإفك الآثمين وزلته من الطور، ولم يذكر تمام أمرهم بإغراق فرعون، لأن مقصودها إظهار العلم والحكمة دون البطش والنقمة، فلم يقتض الحال ذكر الميم"[2]

﴿ طسٓ ﴾ هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطعة في أوائل السور فيها إشارة إلى اعجاز القرآن؛ فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب، فدل عجز العرب عن الاتيان بمثله مع أنهم أفصح الناس على أن القرآن وحي من الله ﷻ.

﴿ طسٓ ﴾ افتتحت السورة بالحرفين "طا – سين" وذلك لتنبيه الكافرين إلى أن هذا القرآن مركب من مثل هذه الحروف، وفي هذا إثبات إعجاز القرآن.

"ينبه ﷻ عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فقال:

---

[1] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (3/ 352)
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (14/ 122 – 123)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أي هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات تدل على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، على طبق ما كان ويكون، آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله عليهم السلام وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صونا لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم، فلهذا قال: ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي تهديهم إلى سلوك الصراط المستقيم وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله ﷻ المرتب على الهداية لهذا الطريق، ربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان فهل يقبل من كل أحد ادعى أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بد لذلك من دليل؟ وهو الحق فلذلك بين ﷻ صفة المؤمنين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فرضها ونفلها فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها وشروطها وواجباتها بل ومستحباتها، وأفعالها الباطنة وهو الخشوع الذي روحها ولبها باستحضار قرب الله ﷻ وتدبر ما يقول المصلي ويفعله.

﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ المفروضة لمستحقيها، ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين وهو العلم التام الواصل إلى القلب

الداعي إلى العمل، ويقينهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب وهذا أصل كل خير، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ويكذبون بها ويكذبون من جاء بإثباتها، ﴿ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ حائرين مترددين مؤثرين سخط الله ﷻ على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق فرأوا الباطل حقاً والحق باطلاً، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ أي أشده وأسوأه وأعظمه، ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ حصر الخسار فيهم لكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل عليهم السلام،

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي وإن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه ينزل من عند ﴿ حَكِيمٍ ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ﴿ عَلِيمٍ ﴾ بأسرار الأمور وبواطنها، كظواهرها، وإذا كان من عند ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ علم أنه كله حكمة ومصالح للعباد، من الذي هو أعلم بمصالحهم منهم؟"[1]

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾ هذه آيات القرآن وهي آيات الكتاب العزيز بينة المعنى، واضحة الدلالة، على ما فيه من العلوم والحكم والشرائع، فالقرآن هو الكتاب، جمع الله ﷻ له بين الاسمين، والآيات المكونة من الكلمات العربية المؤلفة من هذه الأحرف هي آيات القرآن الكريم، وهذا القرآن كتاب مكتوب في السطور، وهو واضح بيّن، سهل مشرق، والقرآن مشتق من القراءة، والكتاب مشتق من الكتابة، وتسمية كتاب الله بهذين الاسمين: القرآن والكتاب؛ يشير إلى أنه محفوظ بهاتين الوسيلتين: القراءة والحفظ، والكتابة والتدوين.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 600

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ هي آيات ترشد إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة، وتبشر بحسن الثواب للمؤمنين الذين صدقوا بها، واهتدوا بهديها، الذين يقيمون الصلوات الخمس كاملة الأركان، مستوفية الشروط، ويؤذون الزكاة المفروضة لمستحقيها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، فآيات القرآن الكتاب المبين هدى وبشرى للمؤمنين به، المعتقدين أنه كلام الله، فالقرآن هادٍ لهم، يدلهم على ما يريد الله ﷻ منهم، ومبشر لهم بالجنة والنعيم، وإن الاهتداء بالقرآن والبشارة به لا تحصل إلا لمن آمن به، وعمل بما فيه. أما الكافرون المنكرون له فإنهم يزدادون ضلالاً، فكل آيات القرآن هدى، وكلها بشرى، ولذلك قالت الآية ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ ﴾ ولم تقل: فيه هدى وبشرى. وعبرت عن الاهتداء والبشارة بالمصدر ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ ﴾ ولم تعبر باسم الفاعل: هادٍ ومبشر؛ للمبالغة في تأكيد وتحقيق الهدى والبشرى بالقرآن، فالقرآن يهدي ويبشر المؤمنين، ويؤثر فيهم ويربيهم، وينفذون الأوامر الموجودة فيه: يقيمون الصلاة على أكمل وجوهها وأفضلها، ويؤدون الزكاة على أتم حالاتها. ويلتزمون بكل ما أمرهم الله ﷻ به، وينتهون عن كل ما نهاهم الله ﷻ عنه، ويستقيمون في حياتهم على شرع الله ﷻ، وهم يعلمون أن الدنيا زائلة، ولذلك يوقنون بالآخرة، ويصدقون بما فيها من مشاهد وأحداث، ويستعدون لها بصالح الأعمال، ويطلبون الجنة ونعيمها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ ﴾ بعدما ذكرت الآيات أهم صفات

المؤمنين المهتدين بالقرآن، ذكرت الكافرين وضلالهم في الدنيا وخسارتهم في الآخرة، وإذا كان المؤمنون يوقنون بالآخرة، فإن الكافرين لا يؤمنون بها، بل يكذبون بها وينفون وقوعها، وينكرون الحياة بعد الموت، غنهم لا يعترفون إلا الدنيا، ولا يعملون إلا لها، ولذلك يقبلون على الملذات والشهوات، وينغمسون فيها باعتبارها فرصتهم الوحيدة المتاحة، وتزين لهم فيندفعون إليها بكل قوتهم، ويعيشون حياتهم الدنيا وفق أهوائهم، يترددون ويتحيرون، ويتيهون في ضلالهم وانحرافهم وشهواتهم، وهؤلاء الضالون المنكرون للآخرة سوف يبعثون ويحاسبون، فيدخلهم الله ﷻ النار، يعذبون فيها سوء العذاب، ويحرمون من الجنة ونعيمها، وبذلك يكونون هم الأخسرين، أي أشد الناس خسراناً، وتكون خسارتهم شاملة لأنفسهم وأموالهم وأهليهم.

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ وإنك أيها الرسول ﷺ لتتلقى القرآن من عند الله ﷻ، الحكيم في خلقه وتدبيره الذي أحاط بكل شيء علماً، ذكرت هذه الآية حال النبي ﷺ مع القرآن، فخاطبه الله ﷻ قائلاً: إنك أيها الرسول ﷺ تتلقى القرآن وتأخذه من عند الله ﷻ، نزل به جبريل عليه السلام عليك، وجعله الله ﷻ كتاب هدى ورحمة وبشرى، فكل ما فيه حق وصدق وصواب؛ لأنه من عند الله ﷻ الحكيم في كل شيء؛ العليم بكل شيء ﷻ.

"﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أي هذه الآيات المنزلة عليك أيها النبي ﷺ في هذه السورة هي آيات القرآن المجموع في النهاية، وآيات الكتاب المسطور في السطور، الواضح البين، الذي سيبقى إلى يوم القيامة، ويسهل العمل به لوضوحه وبيانه المشرق، ويستفيد منه من تأمل فيه، واستعذب حلاوة كلام الله ﷻ، وفكر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في عظمته وفضل الله ﷻ في إنزاله وبيانه، فهو ليس من كلام البشر، بل ولا يستطيع أحد الإتيان بمثله أو بمثل سورة منه، وعطف الكتاب على القرآن من عطف إحدى الصفتين على الأخرى، كما بينا في المفردات، كما تقول: هذا فعل السخي والجواد والكريم، ويلاحظ أن هاتين الصفتين مرة يذكران بالتعريف، ومرة بالتنكير، والمعنى واحد، وأن القرآن له صفتان: قرآن وكتاب لأنه يظهر بالقراءة والكتابة.

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي إن القرآن هاد للناس من الضلالة، ومبشر المؤمنين الطائعين بالجنة وبرحمة الله ﷻ، ومعنى كون القرآن هدى للمؤمنين: أنه يزيدهم هدى على هداهم، كما قال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ التوبة: ١٢٤، وأنه يهديهم إلى الجنة، كما قال ﷻ: ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ النساء: ١٧٥، والتخصيص بالمؤمنين للدلالة على أن الهداية والبشارة إنما يحصلان لمن آمن به، واتبعه وصدقه، وعمل بما فيه، ثم ذكر ﷻ مظاهر الإيمان فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي إن المؤمنين المنتفعين بالقرآن هداية وبشارة هم الذين يؤدون الصلاة كاملة الأركان، تامة الشروط، مستحضراً فيها المصلي عظمة ربه ﷻ، خاشعاً في تلاوته ومناجاته وأذكاره وتسبيحاته، ويعطون الزكاة المفروضة المطهرة لأموالهم وأنفسهم من الدنس والشبهات، ويوقنون بالدار الآخرة، والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها، والجنة والنار، فيستعدون للأنسب الأفضل لهم، ويطيعون ربهم ﷻ فيما أمر به، وينأون عما نهي عنه وزجر.

ثم قارن الله ﷻ حال هؤلاء بحال من لا يؤمن بالآخرة، فذكر منكري البعث بعد ذكر المؤمنين الموقنين بالبعث فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي إن الذين يكذبون بالآخرة ويستبعدون وقوعها بعد الموت، حسناً لهم ما هم فيه، ومددنا لهم في غيهم، فهم يتيهون ويترددون في ضلالهم، جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة، كما قال ﷻ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ الأنعام: ١١٠ .

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ أي أولئك جزاؤهم العذاب السيء في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فمثل قتلهم وأسرهم يوم بدر، وأما في الآخرة فلهم عذاب النار، بل هم في الآخرة أشد الناس خسراناً، لا يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر لأن عذابهم فيها دائم لا ينقطع.

وبعد وصف حال المؤمنين بالقرآن والمكذبين به، ذكر الله ﷻ حال المنزل عليه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي وإنك أيها الرسول ﷺ لتأخذ القرآن وتعطاه وتتعلمه من عند حكيم في أمره ونهيه وتدبير خلقه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها وبأحوال خلقه وما فيه خيرهم، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التام، كما قال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴿١١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١١٥"[1]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

"1. بيان إعجاز القرآن إذ آياته مؤلفة من مثل طس، وحم وعجز العرب عن تأليف مثله.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 281 – 283)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

2. بيان كون القرآن، هدى وبشرى للمؤمنين الملتزمين بمتطلبات الإيمان.

3. إنكار البعث والدار الآخرة يجعل صاحبه شر الخليقة وأسوأ حالاً من الكلاب والخنازير.

4. وجوب قتال الملاحدة وأخذهم أسراً وقتلاً حتى يؤمنوا بالله ﷻ ولقائه؛ لأنهم خطر على أنفسهم وعلى البشرية سواء"[1]

"5. آيات هذه السورة آيات القرآن، وآيات كتاب مبين، وهما صفتان:

صفة بأنه قرآن مقروء مجموع مصون، وصفة بأنه كتاب مكتوب، فهو يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة. وذكر القرآن بلفظ المعرفة، وذكر كتاب بلفظ النكرة، وهما في معنى المعرفة، كما تقول: فلان رجل عاقل، وفلان الرجل العاقل. وذلك بدليل ورودهما في سورة الحجر بالعكس: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ الحجر: ١

فورد الكتاب بلفظ المعرفة، والقرآن بلفظ النكرة لأن القرآن والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما أن يجعل معرفة، وأن يجعل صفة، ووصف القرآن أو الكتاب بصفة "المبين" لأنه ﷻ بين فيه أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده.

6. وكذلك آيات هذا الكتاب أو القرآن هادية ومبشرة للمؤمنين بالجنة، أولئك المؤمنون المتصفون بأنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصدقون بالآخرة صدقاً لا شك فيه ولا تردد.

7. أما الذين لا يصدقون بالبعث فهم في حيرة وضلالة، يترددون في مهاوي الضلال، لذا عاقبهم الله ﷻ جزاء كفرهم بتزيين أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة.

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 6)

ولهم عدا هذا العقاب المعنوي عقاب مادي سيء في الدنيا والآخرة وهو جهنم، وبما أنهم خسروا الآخرة بكفرهم، فهم أخسر كل خاسر.

8. إن تنزيل القرآن على النبي ﷺ وتعليمه إياه وتلقينه به من عند الله ﷻ العلي الحكيم بتدبير خلقه، العليم بأحوالهم وبما يصلحهم. وهذه الآية الأخيرة تمهيد لسياق القصص التالية عن الأنبياء عليهم السلام"[1]

9. المؤمنون الصالحون هم الذين يهتدون بالقرآن ويستبشرون ببشاراته.

10. الإيمان ليس مجرد تصديق بل لابد وأن ينتج عنه الأعمال الصالحة، كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

11. إنكار الآخرة سبب الإسراف في الملذات والشهوات، والوقوع في الطغيان والفساد.

12. الحيرة والتردد والضياع ثمن لإنكار الآخرة والتنافس على الدنيا.

13. الكافرون هم الأخسرون؛ لأن الخسارة المطلقة هي خسارة الأنفس والأموال والأولاد.

14. القرآن من عند الله الحكيم العليم.

15. في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ إقناع الناس بما يقضيه الله ﷻ من قضاء قدري أو قضاء شرعي، وجه ذلك: أننا إذا علمنا أنه صادر عن حكمة فإننا نسلم ونرضى، ولا نقول: لم وكيف؟ فإن علمنا الحكمة فلا شك أنه يزيدنا طمأنينة، وإذا لم نعلم؛ فإننا نجزم أنه لحكمة.

❁ ❁ ❁

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 283 – 284)

موسى عليه السلام

وبعض معجزاته

البصيرة الثانية

موسى عليه السلام وبعض معجزاته

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ
﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا
وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ٧ - ١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ بعدما أقام موسى في مدين عشر سنوات، عاد بأهله إلى مصر، ماراً بوادي طوى المقدس في سيناء، وبينما كان يسير في ليلة مظلمة باردة، ضل الطريق، فلم يعرف إلى أين يتوجه، ونظر من بعيد فرأى ناراً مضيئة فاستبشر بها خيراً، واطمأنت نفسه إليها، فقال لأهله الذين يسيرون معه: انتظروني هنا، سأذهب إلى النار، لعلي أجد عندها أحداً يخبرني عن الطريق إلى مصر، أو لعلي أحضر لكم منها شهاباً مشتعلاً، تستدفئون به في هذا البرد!

"أي اذكر أيها الرسول ﷺ حين سار موسى عليه السلام بأهله (زوجته) من مدين إلى مصر، فضل الطريق في ليل مظلم، فرأى من بعيد ناراً تتأجج وتضطرم، فقال لأهله مستبشراً بمعرفة الطريق والاصطلاء بالنار: إني أبصرت ناراً، سآتيكم منها بخبر عن الطريق، أو آتيكم منها بشعلة نار، تستدفئون بها في هذه الليلة الباردة.

وكان الأمر كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم هو النبوة، واقتبس منها نوراً عظيماً لا ناراً هو نور الرسالة"[1]

"اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران عليه السلام، ابتداء الوحي إليه واصطفائه برسالته وتكليم الله عز وجل إياه، وذلك أنه لما مكث في مدين عدة سنين وسار بأهله من مدين متوجهاً إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل وكان في ليلة مظلمة باردة فقال لهم: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ أي أبصرت ناراً من بعيد ﴿ سَـَٔاتِيكُم

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 289)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾ عن الطريق، ﴿ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ أي تستدفئون، وهذا دليل على أنه تائه ومشتد برده هو وأهله"[1]

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي فلما وصلها، ورأى منظرها هائلاً حيث تضطرم النار في شجرة خضراء، فلا تزداد النار إلا توقداً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضارة، ثم رفع رأسه، فإذا نورها متصل بعنان السماء، ولم تكن ناراً، وإنما كانت نوراً، هو نور رب العالمين، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فوقف موسى عليه السلام متعجباً مما رأى، فنودي أن بورك من في مكان النار، ومن حول مكانها، أي تبارك من في النور، **والمكان:** هو البقعة المباركة المذكورة في قوله ﷻ: ﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴿٣٠﴾ ﴾ القصص: ٣٠، **وما حولها:** أرض الشام ذات البركات والخيرات لكونها مهبط الأنبياء عليهم السلام، ومبعث الرسالات.

وقيل: من في النور هو الله ﷻ، ومن حولها: الملائكة، والأولى ما ذكرناه.

وسبب المباركة: حدوث هذا الأمر العظيم فيها، وهو تكليم الله ﷻ موسى عليه السلام، وجعله رسولاً، وإظهار المعجزات على يده، ولما كان هذا الحال قد يوهم بالتجسيم والمادية نزه الله ﷻ نفسه عما لا يليق بذاته وحكمته، فقال: ﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي تنزه الله ﷻ الذي يفعل ما يشاء، ولا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم المباين لجميع المخلوقات، والأحد الفرد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 600

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد عرف موسى عليه السلام أن ذلك النداء من الله سبحانه وتعالى؛ لأن النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء لم تحترق، فصار ذلك كالمعجز الدال على صدور الكلام من الله سبحانه وتعالى."[1]

"﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ أي ناداه الله سبحانه وتعالى وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك، ومن بركته أن جعله الله سبحانه وتعالى موضعاً لتكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام وندائه وإرساله، ﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ عن أن يظن به نقص أو سوء بل هو الكامل في وصفه وفعله"[2]

وجد موسى عليه السلام عند النار أكثر مما كان يريد، فقد أراد أن يجد من يخبره عن الطريق إلى مصر، فوجد من يخبره بالطريق إلى الحق والهدى وخير الدنيا والآخرة، فإنها لم تكن ناراً كالتي نوقدها لتحرق، إنما كانت نوراً مضيئاً، ولما وصلها موسى عليه السلام سمع النداء من جانب الوادي الأيمن، حيث تظهر النار من الشجرة، ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴿٣٠﴾ ﴾ القصص: ٣٠، والذي ناداه هو الله سبحانه وتعالى رب العالمين، حيث قال له: تبارك وتطهر وتقدس المكان الذي تبعث منه النار وهو الوادي المقدس طوى وتبارك وتطهر وتقدس ما حول ذلك المكان، وهو أرض الشام المقدسة كلها؛ لأنها أرض الخيرات والبركات، ومبعث الرسالات، وقد نزه الله سبحانه وتعالى نفسه س عما لا يليق به، فقال:

﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي تنزه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص، وهو لا يشبهه شيء من المخلوقات، ولا يحده مكان ولا زمان.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 289 – 290)
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 600

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ يا موسى عليه السلام إنه أنا الله ﷻ المستحق للعبادة وحدي، العزيز الغالب في انتقامي من أعدائي، الحكيم في تدبير خلقي.

وقال الله ﷻ لموسى عليه السلام: يا موسى عليه السلام إن الذي يخاطبك ويناجيك هو الله ﷻ ربك العزيز الذي قهر كل شيء وأخضعه له، الحكيم في كل ما يقول ويفعل.

"﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ أي أخبره الله ﷻ أنه الله ﷻ المستحق للعبادة وحده لا شريك له كما في الآية الأخرى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ طه: ١٤، ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الذي قهر جميع الأشياء وأذعنت له كل المخلوقات، ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ في أمره وخلقه، ومن حكمته أن أرسل عبده موسى بن عمران عليه السلام الذي علم الله ﷻ منه أنه أهل لرسالته ووحيه وتكليمه، ومن عزته أن تعتمد عليه ولا تستوحش من انفرادك وكثرة أعدائك وجبروتهم، فإن نواصيهم بيد الله ﷻ وحركاتهم وسكونهم بتدبيره"[1]

"﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ أي يا موسى عليه السلام، إن الذي يخاطبك ويناجيك هو الله ﷻ ربك الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أقواله وأفعاله"[2]

﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ أن الشأن لا ينبغي للمرسلين عليهم السلام أن يخافوا حين الوحي إليهم بل لا يخطر ببالهم

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 600
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 291)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخوف وإن وجد ما يخاف منه لفرط استغراقهم إلى تلقي الأوامر وانجذاب أرواحهم إلى عالم الملكوت، والتقييد بـ ﴿ لَدَىَّ ﴾ لأن المرسلين عليهم السلام في سائر الأحيان أخوف الناس من الله ﷻ فقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨، ولا أعلم منهم بالله ﷻ شأنه، وقيل: المعنى لا تخف من غيري أو لا تخف مطلقاً فإن الذي ينبغي أن يخاف منه أمثالك المرسلون عليهم السلام إنما هو سوء العاقبة وأن الشأن لا يكون للمرسلين عندي سوء عاقبة ليخافوا منه"[1]

وألق عصاك فألقاها فصارت حية، فلما رآها تتحرك في خفة تحرك الحية السريعة ولى هارباً ولم يرجع إليها، فطمأنه الله ﷻ بقوله: يا موسى عليه السلام لا تخف إني لا يخاف لدي من أرسلتهم برسالتي، لكن من تجاوز الحد بذنب ثم تاب فبدل حسن التوبة بعد قبح ذنب، فإني غفور له رحيم به، فلا ييئس أحد من رحمة الله ﷻ ومغفرته.

بعدما عرف موسى عليه السلام أن الذي يكلمه هو الله ﷻ، أمره الله ﷻ أن يلقي العصا التي يحملها، فنفذ أمر الله ﷻ وألقاها! وحولها الله ﷻ إلى حية حقيقية، فيها الحياة! ونظر موسى عليه السلام فرآها تتحرك وتسير وتهتز، كما يهتز ويتحرك ذلك النوع من الحيات الذي يعرفه موسى عليه السلام! عند ذلك خاف موسى عليه السلام خوفاً شديداً، وهرب مسرعاً من المكان، ولم يتلفت وراءه من شدة خوفه؛ لأن الأمر يدعو للخوف، إذ كيف تتحول العصا اليابسة إلى حية تهتز وتسير بسرعة؟! فناداه الله ﷻ قائلاً: يا موسى عليه السلام لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أجعلك رسولاً، وأريك آية، ولا يخاف عندي الرسل والأنبياء عليهم السلام، والذين يخافون هم الذين

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (10/ 159 – 160)

يظلمون أنفسهم بالمعاصي، وحتى هؤلاء أفتح أمامهم باب التوبة، فمن تاب وأناب منهم، وغير مسيرة حياته، وعمل الحسنات بعد السيئات، فإني أتوب عليه وأغفر له، لأني غفور رحيم.

"﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ ﴾ وهو ذكر الحيات سريع الحركة، ﴿ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ ﴾ ذعراً من الحية التي رأى على مقتضى الطبائع البشرية، فقال الله ﷻ له: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ﴾ القصص: ٣١ ، ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله ﷻ برسالته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله ﷻ خصوصاً عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه، ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ ﴾ أي فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجرم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله ﷻ، ثم تاب وأناب فبدل سيئاته حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله ﷻ غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعاً وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها"[1]

"﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ ﴾ أي أمره الله ﷻ بإلقاء عصاه من يده على الأرض، فلما ألقاها، انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة، في غاية الكبر وسرعة الحركة معاً، فلما رآها هكذا، ولى هارباً خوفاً منها، ولم يرجع

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 600

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على عقبيه، ولم يلتفت وراءه من شدة خوفه، فهدأ الحق ﷻ نفسه، وأزال عنه الرعب، فقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أي لا تخف يا موسى عليه السلام مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولاً، وأجعلك نبياً وجيهاً، ولا يخاف عندي الرسل والأنبياء عليهم السلام إذا أمرتهم بإظهار المعجزة.

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ هذا استثناء عظيم، وبشارة عظيمة للبشر في هذا الكلام الرباني المباشر مع موسى عليه السلام، أي لكن من ظلم نفسه أو غيره أو كان على عمل سيء، ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب إلى ربه عز وجل، فإن الله ﷻ يقبل توبته؛ لأنه بدل بتوبته عملاً حسناً بعد سوء، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ طه: ٨٢"[1]

"﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ ﴾ أي أدخل يدك في جيب قميصك[2] فإذا أدخلتها وأخرجتها، خرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف، من غير آفة بها كبرص وغيره، ويلاحظ أن المعجزة الأولى كانت بتغيير ما في يده وقلبها من جماد إلى حيوان، والثانية بتغيير يده نفسها وجعلها ذات أوصاف نورانية.

﴿ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ ﴾ أي هاتان المعجزتان أو الآيتان في جملة أو من تسع آيات أخرى أؤيدك بهن، وأجعلها برهاناً لك، مرسلاً بها إلى فرعون وقومه، كما قال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ أي لأنهم كانوا قوماً عصاة خارجين عن دائرة الحق، بتأليه فرعون،

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 291)
[2] هو الفتحة التي يدخل منها الرأس ثم يتدلى الثوب إلى الصدر والجسد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذا تعليل لما سبق من تأييده بالمعجزات، ثم كان اللقاء مع فرعون وقومه، فقال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا التسع بينة واضحة ظاهرة دالة على صدق موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام، أنكروها وقالوا: هذا سحر واضح ظاهر، وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين، وعبر بقوله: مبصرة للدلالة على أنها لفرط وضوحها كأنها تبصر نفسها، ونظراً لهذا الوضوح فيها صدقوا بها في قلوبهم، وكذبوا بها في الظاهر بألسنتهم فقال ﷻ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ أي وأنكروها وكذبوا بها في ظاهر الأمر مكابرة بالألسنة وعناداً، وتيقنوا وعلموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ﷻ ظلماً من أنفسهم واستكباراً عن اتباع الحق، كما جاء في آية أخرى: ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٦، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي انظر أيها الرسول وكل سامع كيف كان عاقبة أمر فرعون وقومه في إهلاك الله ﷻ إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة. وفي هذا تحذير لمكذبي الرسل عليهم السلام الذين أرسلهم الله ﷻ لهداية البشرية.

والمعنى: فاحذروا أيها المكذبون لمحمد ﷺ، الجاحدون لما جاء به من عند ربه ﷻ أن يصيبكم مثل ما أصاب أولئك بطريق الأولى والأخرى، لأن النبوات ختمت برسالته، ولأن القرآن المنزل عليه مصدق لما بين يديه وما تقدمه من الكتب السابقة ومهيمن عليها، ولبشارات الأنبياء عليهم السلام به وأخذ المواثيق له، ولتأييده بأدلة دالة على صدق نبوته أكثر من موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وعلى رأسها معجزة القرآن المجيد، كما أخبر ﷻ في مطلع هذه السورة:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾"[1]

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ وأدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمَّل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن أمر الله ﷻ كافرين به، فلما جاءتهم هذه المعجزات ظاهرة بينة يبصر بها من نظر إليها حقيقة ما دلت عليه، قالوا: هذا سحر واضح بيّن، وكذب فرعون وقومه بالمعجزات التسع الواضحة الدلالة على صدق موسى عليه السلام في نبوته وصدق دعوته، وأنكروا بألسنتهم أن تكون من عند الله ﷻ، وقد استيقنوها في قلوبهم اعتداءً على الحق وتكبراً على الاعتراف به، فانظر أيها الرسول ﷺ كيف كان مصير الذين كفروا بآيات الله ﷻ وأفسدوا في الأرض، إذ أغرقهم الله ﷻ في اليم؟ وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

لقد عاد موسى عليه السلام واطمأن، أجرى الله ﷻ المعجزة الثانية: لقد كان موسى عليه السلام أسمر اللون، فأمره الله ﷻ أن يدخل يده السمراء في فتحة ثوبه، وعندما يخرجها ينظر إليها وقد تغير لونها! ففعل، ولما أخرجها رآها بيضاء ساطعة تشع نوراً، ليس فيها مرض أو برص أو سوء، وبعدما أعطاه الله ﷻ المعجزتين العصا واليد، أمره بالذهاب إلى فرعون وقومه؛ ليبلغهم الدعوة ويقيم عليهم الحجة، لعلهم يتخلون عن

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 292 – 293)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ظلمهم وفسقهم، ووعده الله ﷻ أن يؤيده عند فرعون بسبع معجزات أخرى؛ ليكون المجموع تسع معجزات بينات كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١، فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه بالآيات الدالة على صدق رسالته، وقدمها لهم، ورأوها آيات بينة، ومعجزات واضحة، وحججاً مقنعة، وهي لفرط وضوحها كأنها مبصرة تبصر بعينيها، لكن ماذا كان موقفهم منها؟ وهي بهذا الوضوح والظهور! كذبوا بها وأنكروا أن تكون من عند الله ﷻ، وقالوا: ما هذه الخوارق التي يقدمها موسى عليه السلام إلا سحر مبين واضح ظاهر، وموسى عليه السلام ليس نبياً كما يزعم، فما هو إلا ساحر! وسبب إنكارهم لها وجحودهم بها هو عنادهم واستكبارهم، رأوا أنفسهم أكبر وأعلى من أن يخضعوا للحق، ولذلك كذبوا وجحدوا به، وبذلك كانوا ظالمين كافرين، وكان جحودهم بها بألسنتهم وظواهرهم فقط، أما في قلوبهم فقد كانوا يوقنون بها، ويعتقدون أنها من عند الله ﷻ، وبذلك خالفت ألسنتهم ما في قرارة نفوسهم ويقين قلوبهم، وقد كان فرعون وقومه في موقفهم الغريب قوماً فاسقين، خارجين عن الحق، فأوقع الله ﷻ بهم عقابه وأغرقهم، وجعل هذه النهاية السيئة عبرة لغيرهم، لئلا يقفوا مثل موقفهم، **وفي هذا تحذير لكفار قريش، ألا يقفوا من رسول الله ﷺ الموقف نفسه، فتحل بهم العقوبة؛ لأن هذه هي سنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين المفسدين!!**

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

"1. تجلي الرب ﷻ لموسى عليه السلام في البقعة المباركة ومناجاته وتدريبه على العصا والسلاح الذي يقاوم به فرعون وملأه فيما بعد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

2. الظلم يسبب الخوف والعقوبة إلا من تاب منه وأصلح فإن الله ﷻ غفور رحيم"[1]

3. آية اليد هي إحدى الآيات التسع التي أوتي موسى عليه السلام دليلاً على وجود الآيات التي كان الله ﷻ يؤيد بها رسله عليهم السلام فمن أنكرها فقد كفر.

4. التنديد بالفسق واستحقاق أهله العذاب في الدارين.

5. الكبر والعلو في الأرض صاحبهما يجحد الحق ولا يقر به وهو يعلم أنه حق.

6. عاقبة الفساد في الأرض بالمعاصي سوء، والعياذ بالله ﷻ"[2]

7. يدبر الله ﷻ الأحداث بحكمته لتحقيق إرادته في عالم الواقع، وإذا أراد شيئاً هيأ الله ﷻ له أسبابه.

"8. تكررت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سور عديدة، لما تضمنت من العظة والعبرة التي تتجلى في قهر الله ﷻ أكبر قوة عاتية بشرية وتحطيم جبروت سلطة ظالمة غاشمة، على يد رجل أعزل من السلاح هو وأخوه هارون عليه السلام إلا أنهما قويان بقوة الله ﷻ، وقوة الإيمان، وعظمة النبوة"[3]

9. الأرض التي كلم الله ﷻ فيها موسى عليه السلام وما حولها أرض مقدسة مباركة.

"10. إن هذه النار التي رآها موسى عليه السلام فيض من نور الله ﷻ، تمهيداً لتكليم الله ﷻ موسى عليه السلام وتحيته وجعله نبياً رسولاً، وتنزيهاً وتقديساً لله ﷻ رب العالمين، علماً بأن هذا الكلام الأخير من قول الله ﷻ تعليماً لنا، وقيل: إن موسى عليه السلام قال حين فرغ من سماع النداء: استعانة بالله ﷻ وتنزيهاً له"[4]

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 9)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 10)
[3] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 293)
[4] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 294)

11. خوف الإنسان من الخطر أمر طبيعي لا يلام عليه.

12. جعل الله ﷻ لموسى عليه السلام تسع آيات دليلاً وبرهاناً على نبوته، وأهمها وأبرزها: العصا واليد، فكان إذا ألقى عصاه من يده، صارت حية تهتز كأنها جان، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم، وقيل: إنها كبيرة ضخمة ذات حركة سريعة، وإذ أدخل يده في جيب ثم أخرجها أصبحت ذات مصدر إشعاع ونور كالقمر"[1]

13. يقيم الله ﷻ الحجة على الكافرين، فيؤيد رسله عليهم السلام بأكثر من آية بينة ومعجزة واضحة.

14. أوجز الله ﷻ العبرة من هذه القصة بتلك العبارة التي ختمت بها فقال: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي انظر يا محمد ﷺ كيف كان مصير أو آخر أمر الكافرين الظالمين، انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه، ولينظر أيضاً كل عاقل، وليعتبر بالنتائج الحادثة بأسباب تؤدي إليها في سنة الله ﷻ ونظامه"[2]

15. الكفار يعرفون الحق بقلوبهم، وتوقن به نفوسهم، ومع ذلك ينكرونه بألسنتهم، ويحاربونه عناداً وعلواً واستكباراً.

16. على العقلاء أن يعتبروا مما جرى للمكذبين السابقين، لئلا يصيبهم ما أصابهم.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 294 - 295)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 295)

داود وسليمان

عليهما السلام

ونعم الله ﷻ

عليهما

البصيرة الثالثة

داود وسليمان عليهما السلام ونعم الله ﷻ عليهما

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

النمل: ١٥ - ١٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولقد آتينا داود وسليمان عليهما السلام علماً فعملا به، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين، **وفي الآية دليل شرف العلم، وارتفاع أهله.**

وورث سليمان أباه داود عليهما السلام في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان عليه السلام لقومه: يا أيها الناس عُلّمنا وفُهّمنا كلام الطير، وأُعطينا من كل شيء تدعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله سبحانه وتعالى إياه لهو الفضل الواضح الذي يُميّزنا على من سوانا، وجُمع لسليمان عليه السلام جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرتهم لم يكونوا مهمَلين، بل كان على كل جنس من يَرُدّ أو لهم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعاً منتظمين، حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يهلكنَّكم سليمان عليه السلام وجنوده، وهم لا يعلمون بذلك، فتبسم ضاحكاً من قول هذه النملة لفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمة الله عز وجل عليه، فتوجه إليه داعياً: رب ألهمني، ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم.

"يذكر في هذا القرآن وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه عليهما السلام بالعلم الواسع الكثير بدليل التنكير كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ٧٩ ﴾ الأنبياء: ٧٨ – ٧٩، ﴿ وَقَالَا ﴾ شاكرين لربهما عز وجل منته الكبرى بتعليمهما: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

فحمدا الله ﷻ على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة وأنهما كانا من خواصهم، ولا شك أن المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء عليهم السلام، وداود وسليمان عليهما السلام من خواص الرسل عليهم السلام وإن كانوا دون درجة أولي العزم الخمسة، لكنهم من جملة الرسل عليهم السلام الفضلاء الكرام الذين نوه الله ﷻ بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحاً عظيماً فحمدوا الله ﷻ على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكراً لله ﷻ على نعمه الدينية والدنيوية وأن يرى جميع النعم من ربه ﷻ، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً، فلما مدحهما مشتركين خص سليمان عليه السلام بما خصه به لكون الله ﷻ أعطاه ملكاً عظيماً وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه عليهما والسلام فقال: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ أي ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ ﴾ ، وقال شكراً لله ﷻ وتبجحاً بإحسانه وتحدثاً بنعمته: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ فكان عليه السلام يفقه ما تقول وتتكلم به كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه السلام، ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ أي أعطانا الله ﷻ من النعم ومن أسباب الملك ومن السلطنة والقهر ما لم يؤته أحداً من الآدميين، ولهذا دعا ربه ﷻ فقال: ﴿ وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴿٣٥﴾ ﴾ ص: ٣٥، فسخر الله ﷻ له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح غدوها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شهر ورواحها شهر، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أعطانا الله ﷻ وفضلنا واختصنا به ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ الواضح الجلي فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله ﷻ.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدته، وكل هذه الجنود مؤتمرة بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه، قال ﷻ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ ص: ٣٩، أي أعط بغير حساب، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره،

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ منبهة لرفقتها وبني جنسها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فنصحت هذه النملة وأسمعت النمل إما بنفسها ويكون الله ﷻ قد أعطى النمل أسماعاً خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب، وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن، وعرفت حالة سليمان عليه السلام وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه السلام قولها وفهمه، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ إعجاباً منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها، وهذا حال الأنبياء عليهم السلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول ﷺ جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة

تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت، والرسل عليهم السلام منزهون عن ذلك، وقال شاكراً لله ﷻ الذي أوصله إلى هذه الحال: ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ ﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد، فسأل ربه ﷻ التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، ﴿ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ ﴾ أي ووفقني أن أعمل صالحاً ترضاه لكونه موافقاً لأمرك مخلصاً فيه سالماً من المفسدات والمنقصات، ﴿ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ ﴾ التي منها الجنة ﴿ فِي ﴾ جملة ﴿ عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم، فهذا نموذج ذكره الله ﷻ من حالة سليمان عليه السلام عند سماعه خطاب النملة ونداءها"[1]

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ ﴾

"ولقد أعطينا كلاً من داود وابنه سليمان عليهما السلام طائفة من العلم هو علم الشرائع والأحكام والقضاء بين الناس، وعلمنا داود عليه السلام صنعة دروع الحرب، وعلمنا سليمان عليه السلام منطق الطير، فشكرا الله ﷻ على نعمه، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من العباد المؤمنين بهذه العلوم والمعارف الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، ولم يؤتهم مثلنا.

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 602

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا دليل على فضل العلم الذي لم يكن الملك إلا دونه، وعلى رفع مرتبة العلم والعلماء، وهو حث للعالم على شكر النعمة وعلى التواضع، فلم يفضلا أنفسهما على الكل، وإنما على الكثير، وتذكير بأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل على الكثير أناس مثله، وأشرف مراتب العلم: العلم بالله ﷻ وبصفاته"[1]

" إنما سيق هذا لبيان فضل سليمان عليه السلام وما خصه الله ﷻ به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى المواهب وهو العلم والنبوة أن هذا لهو الفضل المبين"[2]

يخبر الله ﷻ عما أنعم على داود وسليمان عليهما السلام من نعم جليلة، ومن أعظم هذه النعم العلم الذي علمهما إياه، وكان منوعاً وشاملاً، فقد علم داود عليه السلام صنعة الدروع، وعلم سليمان عليه السلام الصناعات النحاسية، وعلمهما معاً الشرائع والأحكام والقضاء بين الناس، واعترف سليمان وداود عليهما السلام بهذه النعمة وحمدا الله ﷻ على تفضيله لهما بالعلم على كثير من عباده المؤمنين، وهما في هذا قدوة لصاحب العلم، بحيث يعترف لله ﷻ بالفضل عليه، ويشكره عليه، ويتواضع لعباد الله ﷻ، ويسأل الله ﷻ المزيد منه، ويستخدمه في نفع الآخرين.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

"فهو ميراث العلم والنبوة لا غير وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرة سوى سليمان عليه السلام فلو كان الموروث هو المال لم

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 298 – 299)
[2] مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية (1/ 67)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يكن سليمان عليه السلام مختصاً به وأيضاً فإن كلام الله ﷻ يصان عن الإخبار بمثل هذا فإنه بمنزلة أن يقال مات فلان وورثه ابنه ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة، وأيضاً فإن ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴿١٦﴾ ﴾ وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان عليه السلام وما خصه الله ﷻ به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى المواهب وهو العلم والنبوة أن هذا لهو الفضل المبين، وكذلك قول زكريا عليه السلام: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ مريم: ٥ - ٦، فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة الى الله ﷻ وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله؛ فيسأل الله ﷻ العظيم ولداً يمنعهم ميراثه ويكون أحق به منهم وقد نزه الله ﷻ أنبياءه ورسله عليهم السلام عن هذا وأمثاله فبعدا لمن حرف كتاب الله ﷻ ورد على رسوله ﷺ كلامه ونسب الأنبياء عليهم السلام إلى ما هم برآء منزهون عنه والحمد لله على توفيقه وهدايته"[1]

"﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ أي خلف سليمان عليه السلام أباه داود عليه السلام بعد موته في ميراث النبوة والعلم والملك، وليس المراد وراثة المال؛ لأنه خصص بهذا الإرث عن بقية أولاد داود الكثر، ولأن الأنبياء عليهم السلام لا تورث أموالهم.

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية (1/ 67)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان داود عليه السلام أكثر تعبداً من سليمان عليه السلام، وسليمان عليه السلام أقضى وأشكر لنعمة الله عز وجل، وكان أعظم ملكاً من أبيه، فقد أعطي ما أعطي داود عليه السلام، وزيد له تسخير الريح والشياطين، ومعرفة لغة الطيور، كما أخبر سبحانه وتعالى معدداً بعض نعم الله عز وجل عليه:

1. تعليمه منطق الطير:

﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ أي قال سليمان عليه السلام متحدثاً بنعمة الله عز وجل عليه أن ربه سبحانه وتعالى علمه لغة الطير والحيوان إذا صوت، فأستطيع التمييز بين مقاصده من نوع تصويته، وربما فهم بعض الناس الذين يقدمون خدمات للحيوان بعض أصوات الحيوانات، كالخيول والبغال والحمير والأبقار والإبل والقطط، فيدركون رغبتها في الأكل أو الشرب، ويفهمون تألمها عند المرض أو الضرب. وأدرك أناس في العصر الحديث كثيراً من لغات الطيور حال الحزن أو الفرح أو الحاجة إلى الطعام والشراب والاستغاثة وغير ذلك بالتجربة والملاحظة وتشابه النغمات في حال واحدة، كما حاولوا معرفة لغات الحشرات كالنمل والنحل.

قال البيضاوي: "ولعل سليمان عليه السلام كان إذا سمع صوت حيوان، علم بقوته الحدسية التخيل الذي صوته، والغرض الذي توخاه به، ومن ذلك ما حكي: أنه مر ببلبل يصوت ويرقص، فقال سليمان عليه السلام: إنه يقول: "إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء" وصاحت فاختة[1]، فقال: إنها تقول: "ليت الخلق لم يخلقوا" فلعل

[1] نوع من الحمام البري، جمع فواخيت

صوت البلبل كان عن شبع وفراغ بال، وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب"[1]

﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي وأعطينا خيراً كثيراً من كل شيء في الدين والدنيا من ملك وثروة. وهذا الأسلوب كما ذكر الزمخشري يراد به كثرة ما أوتي كما تقول: فلان يقصده كل أحد، ويعلم كل شيء، تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه، ومثله قوله ﷻ في مقال الهدهد عن بلقيس: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ النمل: ٢٣، والضمير في علمنا، وأوتينا لسليمان ولأبيه عليهما السلام، أو له وحده، على عادة الملوك، لمراعاة قواعد السياسة.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي إن هذا المؤتى من الخيرات والنعم من النبوة والملك والحكم، لهو الفضل الإلهي الظاهر البين الذي لا يخفى على أحد، وهو فضل الله ﷻ علينا. وهو قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة"[2]

ساعد سليمان أباه داود عليهما السلام في حياته، عندما كان ملكاً على بني إسرائيل، جعل علمه وفهمه في خدمة الآخرين، ولما توفي داود عليه السلام ورثه سليمان عليه السلام في النبوة والملك، أي أن الله ﷻ جعله نبياً في بني إسرائيل، وجعله ملكاً عليهم بعد أبيه.

ولم يرث سليمان أباه عليهما السلام في المال؛ لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون في المال، وإذا ما ترك أحدهم مالاً عند وفاته – ومعظمهم لا يتركون مالاً– فإن هذا المال لا يقسم على أولادهم، وإنما يكون صدقة في سبيل الله ﷻ!

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 157)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 299 – 300)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان ملك سليمان عليه السلام أعظم من ملك أبيه داود عليه السلام، واعترف سليمان عليه السلام بهذا الفضل لله عز وجل، وأظهر شكره لربه سبحانه وتعالى أمام الناس، ليقتدوا به، لا من باب الفخر والمباهاة.

وقال لهم: يا أيها الناس إن ربي علمني لغة الطيور، ويسر لي فهم ما يريد أحدها عندما يخرج صوته، فأستطيع معرفة ما يريد، فأقضي له حاجته إن أراد طعاماً أو شراباً، وأعرف إن كان فرحاً أو حزيناً أو مريضاً! ويكون صوته نطقاً وكلاماً يعبر عما في نفسه!

كان سليمان عليه السلام هو الوحيد الذي علمه الله سبحانه وتعالى منطق الطير والحيوان في عصره، فكنت تراه يحادث طيراً أو حيواناً أو حشرةً وسط استغراب الذين حوله، كما حصل مع النملة والهدهد.

ولم يمنَّ الله سبحانه وتعالى على سليمان عليه السلام بعلم منطق الطير فقط، وإنما آتاه من كل شيء خيراً كثيراً، مما يتعلق بالدين والدنيا، من المظاهر المادية والأشياء المعنوية، وشكر سليمان عليه السلام ربه سبحانه وتعالى على هذه النعم؛ لأنها فضل بين ظاهر من الله سبحانه وتعالى عليه.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

كان عليه السلام حازماً مع جنوده من هذه الأصناف، يسيرون معه بانتظام وترتيب، ويخرج بهم للجهاد في سبيل الله عز وجل، وأراد سليمان عليه السلام أن يخرج بجنوده يوماً، فجُمعوا وحُشروا له، وكانوا فرقاً من أصناف ثلاثة: من الجن، ومن الإنس، ومن الطير، وكانوا يوزعون في موكبه، يسيرون بترتيب وانتظام، وتتوقف أوائلهم لتلحق بهم أواخرهم، ولا يتقدم أو يتأخر أحد منهم عن مكانه، ولا يتخلف عن حضوره.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

"2. جنود سليمان:

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ أي وجمع لسليمان عليه السلام جنوده من الجن والإنس والطير، أي ركب فيهم في أبهة وعظمة، تليه الإنس، ثم الجن، ثم الطير، فإن كان حر أظلته منه بأجنحتها، فهم يجمعون بترتيب ونظام، بأن يوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم، ويرد أو يكف أولهم على آخرهم، لئلا يتقدم أحد عن منزلته ومرتبته، وليكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد. وهذا يدل على مسيرته في جيش عظيم منظم له عرفاء، ليس جيشاً من الناس فقط، وإنما معه الجن، والطير.

قال مجاهد: "جعل على كل صنف وزعة (عرفاء)، يردون أولاها على أخراها، لئلا يتقدموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم، وعلى هذا فكلمة يوزعون من الوزع وهو الكف والمنع، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن أي من الناس"، **وقال الحسن البصري:** "لا بد للناس من وازع، أي سلطان يكف ويمنع"

وهذا دليل على أن سليمان عليه السلام جمع بين النبوة والسلطات كلها، والملك الذي لم يتوافر لأحد بعده، فضلاً من الله سبحانه وتعالى واستجابة لدعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ ﴾ ص: ٣٥ - ٣٧، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٢ - ١٣، وبه يتبين أن الله ﷻ سخر لسليمان عليه السلام الإنس، فكان له عساكر كثيرون منهم، والجن لصناعة المباني الضخمة والأواني الواسعة والقدور السابغة، والطير"[1]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ حتى إذا وصلوا إلى واد بالشام كثير النمل، قالت إحدى النملات منبهة لرفيقاتها وبني جنسها ادخلوا بيوتكم، خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء.

في كلام هذه النملة أنواع من البلاغة: نادت، ونبّهت، وسمت، وأمرت، ونصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وأعذرت، ووجهه: نادت: "يا" نبهت: "ها" سمت: "النمل"، أمرت "ادخلوا"، نصت: "مساكنكم"، حذرت: "لا يحطمنكم"، خصت: "سليمان"، عمت و "جنوده"، أشارت: "وَهُمْ"، أعذرت: "لا يشعرون"[2]، وقال العلماء عن هذه الآية من عجائب القرآن؛ لأنها جمعت النملة فيها أحد عشر نوعاً من فنون الكلام.

﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ لا يكسرنكم سليمان عليه السلام وجيوشه بأقدامهم، وهم لا يشعرون بكم، ولا يريدون حطمكم عن عمد، حذرت ثم اعتذرت؛ لأنها علمت أنه نبي رحيم، فسمع سليمان عليه السلام كلامها وفهم مرامها فإن قولها: ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 301 – 302)
[2] اللباب في علوم الكتاب للنعماني (15/ 133)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل بكل مخلوق ولا فساد منه، أجراه الله ﷻ على نملة؛ ليعلم شرف العدل ولا يحتقر مواضعه، وأن ولي الأمر إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء وظهرت آثاره فيها، ويضرب الله ﷻ الأمثال للناس، فضرب هذا المثل لنبيه سليمان عليه السلام بالوحي من دلالة نملة، وذلك سر بينه وبين ربه ﷻ جعله تنبيهاً له وداعية لشكر ربه ﷻ.

"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته، ثم أتت بالاسم المبهم، ثم أتبعته بما يثبته من اسم الجنس إرادة للعموم، ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم فيتحصنون من العسكر، ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيبهم معرة الجيش فيحطمهم سليمان عليه السلام وجنوده، ثم اعتذرت عن نبي الله ﷻ وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك، وهذا من أعجب الهداية! وتأمل كيف عظم الله ﷻ شأن النمل بقوله: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ فأخبر أنهم بأجمعهم مروا على ذلك الوادي. ودل على أن ذلك الوادي معروفاً بالنمل كوادي السباع ونحوه، ثم أخبر بما دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها، حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم، فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكناً لا يدخل عليهم فيه سواهم، ثم قالت: ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ فجمعت بين اسمه وعينه وعرفته بهما وعرفت جنوده وقائدها، ثم قالت: ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ فكأنها جمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم لا يشعرون وبين لوم أمة النمل حيث لم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأخذوا حذرهم ويدخلوا مساكنهم؛ ولذلك تبسم نبي الله ﷻ ضاحكاً من قولها وأنه لموضع تعجب وتبسم، ومن عجيب هدايتها أنها تعرف ربها ﷻ بأنه فوق سماواته على عرشه كما رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة ﷺ يرفعه قال: "خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون، فإذا هم بنملة رافعة قوائمها إلى السماء تدعو مستلقية على ظهرها، فقال: ارجعوا فقد كفيتم، أو سقيتم بغيركم" ولهذا الأثر عدة طرق ورواه الطحاوي في التهذيب وغيره"[1]

واصل جيش سليمان عليه السلام المنظم سيره حتى وصلوا إلى وادٍ يقال له "وادي النمل"، ويبدو أن النمل كان فيه كثيراً، ولما سار الجيش في الوادي نادت نملة باقي النمل قائلة: يا أيها النمل ادخلوا بيوتكم التي هي تحت الأرض، لتنجوا من الخطر، فإن بقيتم على وجه الأرض يخشى أن يحطمكم ويكسركم ويدوس عليكم سليمان عليه السلام وجنوده، ولن يلاموا؛ لأنهم لم يشعروا بكم، فلم يتعمدوا تحطيمكم!

"3. قصة النملة:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي حتى إذا قدم سليمان عليه السلام ومن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل، وهي- كما يقال ولم يثبت- واد بالشام أو بغيره كثير النمل، نادت نملة هي ملكة النمل، كما فهم سليمان عليه السلام: يا أيها النمل، ادخلوا بيوتكم، حتى لا يكسرنكم سليمان عليه السلام وجنوده، دون أن يشعروا بذلك.

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية ص 69

وقوله: لا يحطمنكم كما جاء في الكشاف: يحتمل أن يكون جواباً للأمر، أي ادخلوا لا يحطمنكم، مثل: اجتهد لا ترسب، وأن يكون نهياً بدلا من الأمر، أي في معنى: لا تكونوا حيث أنتم، فيحطمكم، على طريقة: لا أرينك هاهنا"[1]

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

"أي فتبسم شارعاً في الضحك بعد أن فهم قولها، تعجباً من تحذيرها، أو سروراً بما خصه الله ﷻ به من فهم غرضها، وقال: رب ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي من تعليمي منطق الطير والحيوان وعلى والدي بالإسلام لك والإيمان بك، وأن أعمل عملاً تحبه وترضاه قياماً بواجب الشكر على النعمة، واجعلني إذا توفيتني في الجنة في زمرة الصالحين من الأنبياء والأولياء الصلحاء.

وإنما أدرج ذكر والديه؛ لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين، خصوصاً نعمة الدين، فإن الولد إذا كان تقياً نفعهما بدعائه وشفاعته، وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له. **وهذا دليل على أن نعمة العلم وحدها كافية في وجوب الشكر، مستحقة للحمد والثناء على المتفضل المنعم بها. وفيه الدليل على البر بالوالدين والدعاء لهما بعد موتهما**"[2]

سمع سليمان كلام النملة، وفهم تحذيرها لقومها، فتبسم ضاحكاً من قولها، وتبسمه كان شكراً لله الذي علمه منطق الطير، وجعله يفهم لغة النملة، وقد حدثنا بما توجه به إلى ربه حيث قال: رب ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي،

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 302)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 302 - 303)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأنعمت على والديَّ من قبلي، وألهمني أيضاً أن أعمل صالحاً، تتقبله مني وترضاه لي، وعندما تميتني وتتوفاني أدخلني الجنة في زمرة عبادك الصالحين من الأنبياء والأولياء والصلحاء.

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

"1. إن نعمة العلم من أجل النعم وأشرفها وأرفعها رتبة، وإن من أوتي العلم فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله ﷻ المؤمنين، كما قال ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١.

2. كان إرث سليمان من والده داود عليهما السلام هو النبوة والملك، وليس وراثة مال، وإلا لكان جميع أولاد داود التسعة عشر فيه سواء. والمقصود أنه صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسمي ميراثاً تجوزاً"[1]

3. كان سليمان بن داود عليهما السلام نبياً من أنبياء بني إسرائيل، لا ساحراً كما يزعم اليهود.

4. سخر الله ﷻ لسليمان عليه السلام الجن والطير والرح وآتاه ملكاً عظيماً.

5. أفضل ما يمنُّ الله ﷻ على عبده بعد الإيمان هو العلم، وبه يفضله على عباده الآخرين.

"6. تقتضي نعمة العلم وغيره شكر المنعم وحمده على فضله وإحسانه، كما فعل داود وسليمان عليهما السلام، ودل قولهما على تواضع العلماء والاعتقاد بأنه وإن فضلا على كثير، فقد فضل عليه أناس مثلهما"[2]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 303)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 303 - 304)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

7. الأنبياء عليهم السلام زاهدون في الدنيا، وإذا تركوا مالاً بعد وفاتهم يكون في سبيل الله ﷻ.

"8. وجوب الشكر على النعم.

9. آية تعليم الله ﷻ سليمان عليه السلام منطق الطير وتسخير الجن والشياطين له"[1]

10. لكل مخلوق حي لغة خاصة يتفاهم بها مع بني جنسه، كالطيور والحيوانات.

"11. عدد الله ﷻ في القصة نعماً ثلاثاً على سليمان عليه السلام: هي تعليمه منطق الطير وإيتاؤه الخير الكثير، وتسخير الجن والإنس والطير، وفهمه خطاب النملة. وأصوات الطيور والبهائم هو منطقها، وفي مناطقها معاني التسبيح وغير ذلك.

12. بدأ سليمان عليه السلام في تعداد هذه النعم قائلاً: يا أيها الناس وهذا تشهير لنعمة الله ﷻ، وتنويه بها، واعتراف بمكانها، ودعوة الناس إلى التصديق برسالته بذكر المعجزة وهي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور.

13. اشتمل دعاء سليمان عليه السلام على طلب الإلهام من الله ﷻ شكر ما أنعم به عليه، وعلى توفيقه لزيادة العمل الصالح والتقوى، فهو عليه السلام بعد أن سأل ربه ﷻ شيئاً خاصاً وهو شكر النعمة، سأل شيئاً عاماً وهو أن يعمل عملاً يرضاه الله ﷻ.

14. دل قوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ على جواز اتخاذ الإمام والحكام وزعة (أي عرفاء) يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم"[2]

"15. فضل النمل على كثير من المخلوقات ظهر في نصح النملة لأخواتها وشفقتها عليهن.

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 13)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 304 – 305)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

16. ذكاء النمل وفطنته مما أضحك سليمان عليه السلام متعجباً منه.

17. وجوب الشكر عند مشاهدة النعمة ورؤية الفضل من الله عز وجل.

18. تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا الحديث لا يتأتى له إلا بالوحي الإلهي"[1]

19. قد يطلع الله سبحانه وتعالى بعض عباده على لغة الطيور والحيوانات، كما حصل مع سليمان عليه السلام.

20. المؤمن يعترف لله عز وجل بنعمه عليه ويشكره عليها، ويسأله المزيد منها.

"21. ما حكاه سبحانه وتعالى من قول النملة: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ حسن اعتذار، وبيان عدل سليمان عليه السلام ورأفته وتدينه وفضله وفضل جنوده، فهم لا يحطمون نملة أو لا يدوسون على نملة فما فوقها إلا خطأ غير مقصود لا يشعرون به. وقد قيل: إن تبسم سليمان عليه السلام سرور بهذه الكلمة منها، ولذلك أكد التبسم بقوله: ﴿ ضَاحِكًا ﴾ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، وتبسم الضحك إنما هو عن سرور، وسرور النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الآخرة والدين، لا بأمر الدنيا.

22. أفهم الله سبحانه وتعالى النملة هذا الكلام لتكون معجزة لسليمان عليه السلام.

23. أودع الله سبحانه وتعالى في كل حيوان غرائز معينة، يهتدي بها إلى ما ينفعه، ويمتنع بها عما يضره. ومن درس طبائع الحيوانات وعرف خصائصها، أدرك فيها عجائب مثيرة، وإلهامات غريبة، وذلك يدعو إلى الإيمان بالله عز وجل الخالق الموجد الملهم، سبحانه وتعالى أبدع كل شيء، وأحسن كل شيء خلقه"[2]

24. التنظيم والترتيب في الأمور الإدارية مطلوب، كما كان جيش سليمان عليه السلام.

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 13)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 305)

25. الاهتمام بالآخرين ونصحهم وتقديم الخير لهم مرغوب فيه، وهو موجود حتى في عالم الطيور والحيوانات، كما حصل مع النملة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سليمان عليه السلام مع الهدهد

البصيرة الرابعة

سليمان عليه السلام مع الهدهد

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ النمل: ٢٠ ـ ٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"لما جاءه بدره بالعذر قبل أن ينذره سليمان عليه السلام بالعقوبة، وخاطبه خطاباً هيجه به على الإصغاء إليه والقبول منه، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفته حق المعرفة، بحيث أحطت به وهو خبر عظيم له شأن؛ فلذلك قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ والنبأ هو الخبر الذي له شأن والنفوس متطلعة إلى معرفته، ثم وصفه بأنه نبأ يقين لا شك فيه ولا ريب، فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله عليه السلام بذلك النبأ استفرغت قلب المخبر لتلقي الخبر، وأوجبت له التشوف التام إلى سماعه ومعرفته، وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج، ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفاً مؤكداً بأدلة التأكيد فقال:﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وأنها من أجل الملوك، بحيث أوتيت من كل شيء يصلح أن تؤتاه الملوك، ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وأنه عرش عظيم، ثم أخبره بما يدعوهم إلى قصدهم وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وحذف أداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيذاناً بأنها هي المقصودة وما قبلها توطئة لها، ثم أخبر عن المغوي لهم الحامل لهم على ذلك وهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم حتى صدهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله عز وجل وحده، ثم أخبر أن ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية والسجود لله عز وجل الذي لا ينبغي السجود إلا له، ثم ذكر من أفعاله سبحانه وتعالى إخراج الخبء في السماوات والأرض، وهو المخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض، وفي ذكر الهدهد هذا الشأن من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أفعال الرب ﷻ بخصوصه إشعار بما خصه الله ﷻ به من إخراج الماء المخبوء تحت الأرض قال صاحب الكشاف: "وفي إخراج الخبء إمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة الناظر بنور الله ﷻ مخايل كل شخص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله فما عمل آدمي عملاً إلا ألقى الله ﷻ عليه رداء عمله"[1]

"﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها؛ ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله ﷻ لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: "وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال " أو " فتش عن الهدهد " أو: " بحث عنه " ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضاً فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية ص 70 - 71

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله ﷻ له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف -مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله ﷻ به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالا عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى أو لفظاً أو معنى ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟ فحينئذ تغيظ عليه وتوعده فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ دون القتل، ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل؛ لأن ذلك لا

يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته، ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ثم جاء وهذا يدل على هيبة جنوده منه وشدة ائتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمناً كثيراً، ﴿ فَقَالَ ﴾ لسليمان عليه السلام: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أي عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه، ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي خبر متيقن، ثم فسر هذا النبأ فقال: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ أي تملك قبيلة سبأ وهي امرأة ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك، ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى، ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي هم مشركون يعبدون الشمس، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فرأوا ما عليه هو الحق، ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته، ثم قال: ﴿ أَلَّا ﴾ أي: هلا ﴿ يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء بإنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا تنبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك، ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الذي هو سقف المخلوقات ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم وتعجب سليمان عليه السلام كيف خفي عليه، وقال مثبتاً لكمال عقله ورزانته ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا ﴾ وسيأتي نصه ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي استأخر غير بعيد ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ إليك وما يتراجعون به"[1]

وتفقد سليمان عليه السلام حال الطير المسخرة له وحال ما غاب منها، وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجده، فقال: ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهده؟ أستر ساتر عني، أم أنه كان من الغائبين عني، فام أره لغيبته؟ فلما ظهر أنه غائب قال: لأعذبن هذا الهدهد عذاباً شديداً لغيابه تأديباً له، أو لأذبحنه عقوبة على ما فعل؛ حيث أخلَّ بما سخر له، أو ليأتيني بحجة ظاهرة فيها عذر لغيبته، فمكث الهدهد زمناً غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان عليه السلام على مغيبه وتخلفه، فقال له الهدهد: علمت ما لا تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتك من مدينة سبأ باليمن بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه، إني وجدت امرأة تحكم أهل سبأ وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سرير عظيم القدر، تجلس عليه لإدارة ملكها، وجدتها هي وقومها يعبدون الشمس معرضين عن عبادة الله عز وجل، وحسَّن لهم

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 603 - 604

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشيطان أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله ﷻ وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله ﷻ وتوحيده وعبادته وحده، حَسَّن لهم الشيطان ذلك؛ لئلا يسجدوا لله ﷻ الذي يخرج المخبوء المستور في السموات والأرض من المطر والنبات وغير ذلك، ويعلم ما تسرون وما تظهرون، الله ﷻ الذي لا معبود يستحق العبادة سواه، رب العرش العظيم، الذي هم أعظم المخلوقات، قال سليمان عليه السلام للهدهد: سنتأمل فيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين فيه؟ اذهب بكتابي هذا إلى أهل سبأ فأعطهم إياه، ثم تنحَّ عنهم قريباً منهم بحيث تسمع كلامهم، فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

"﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ أي بحث سليمان عليه السلام عن الهدهد بين جنوده، وكان له علم بمنطق الطير، وكانت الطيور مسخرة له كالريح وغيرها، فقال متعجباً: كيف لا أرى الهدهد؟ علماً بأنه لم يأذن له بالغياب، بل هو من الغائبين دون أن أعلم بغيبته. وفي العبارة قلب، أي ما للهدهد لا أراه؟! وهو كقولك: ما لي أراك كئيباً؟ أي مالك؟ وذكر المفسرون أن سبب بحثه عنه أنه كان يدل على مكان وجود الماء تحت الأرض، بنقره فيها، فيستخرج منها من طريق الجن أو الشياطين، كما كان يرشد سليمان عليه السلام وجنوده إلى الحد الفاصل بين قريب الماء وبعيده أثناء السير بفلاة من الأرض، وحين تثبت من غيابه توعده بالعذاب إذا كان بغير عذر مقبول، فقال ﷻ: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي أنه هدده بالقتل أو بالتعذيب والعقاب الشديد كنتف ريشه إلا أن يأتي ببرهان واضح يبين عذره، أي إن التهديد والوعيد كان بأحد أمرين إن لم يأتِ بالأمر الثالث وهو العذر الواضح البين"[1]

كان سليمان عليه السلام حازماً مع جنوده، ويبدو في تهديد سليمان عليه السلام الحزم الإداري المطلوب، كما يبدو فيه العدل في العقاب، فهو سيعاقبه لغيابه من دون إذن منه، وسيوقف عقابه إن أقنعه بسبب غيابه.

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾

"أي غاب الهدهد زماناً يسيراً ثم جاء فسأله سليمان عليه السلام عن سبب غيابه، فقال لسليمان عليه السلام: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، وجئتك من مدينة سبأ بخبر صدق متيقن، والأكثر على أن سبأ مصروف لأنه اسم بلد، وأهل سبأ: هم حمير وهم ملوك اليمن، والأكثر على أن الضمير في فمكث يعود للهدهد، ويحتمل أن يكون لسليمان عليه السلام، والمعنى: بقي سليمان عليه السلام بعد التفقد والوعيد غير طويل، أي غير وقت طويل، وقد كان الهدهد ماهراً بالدفاع عن نفسه بتلطف وقدرة على اجتذاب النظر إليه وإصغاء السمع لكلامه، وأنه كان يقوم برحلة استكشاف علمية لمملكة سبأ ومعرفة أحوال أهلها في الملك والتدين، ثم عرف سليمان عليه السلام ببعض المعارف بالرغم مما أوتيه من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة، للتنبيه على وجود العلم والمعرفة عند من هو أضعف منه، وللإرشاد إلى ضرورة تواضع العلماء"[2]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 311)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 312)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال الزمخشري: "وفيه دليل على بطلان قول الرافضة: أن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه"[1]

لم تطل غيبة الهدهد عن الجيش، فما هي إلا مدة زمنية قصيرة، حتى عاد إلى الجيش، وهذا يدل على قرب المكان الذي كان فيه الهدهد، وعلى انضباط الهدهد. فلما أنهى مهمته عاد للجيش فوراً. ولما عاد أتى إلى سليمان عليه السلام مباشرة، فسأله عن سبب غيابه، فأجابه الهدهد بجرأة وثقة، وكان جوابه مثيراً مفاجئاً، وقال له: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت وجنودك، وعلمت ما لم تعلموه! لقد كنت في مملكة سبأ في اليمن، وعرفت أحوالها، وجئتك منها بخبر صادق متيقن، لقد كان الهدهد في هذه البداية المثيرة ماهراً في تقديم عذره، والدفاع عن نفسه، وإخبار سليمان عليه السلام عما وجده وما لم يعلمه سليمان عليه السلام، وفي هذا دعوة سليمان عليه السلام إلى التواضع العلمي، فها هو الهدهد علم ما لم يعلمه، على كثرة ما يعلم.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾

سارع الهدهد بتقديم تقريره عن مملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام، وكان التقرير يتناول جانبين: جانب الملك وجانب الدين.

بدأ بالحديث عن الملك، فذكر أن الحكم في مملكة سبأ بيد امرأة، هي التي تملكهم وتحكمهم، وهذه الملكة أوتيت الشيء الكثير من متاع الدنيا، من ثراء وترف وغنى؛ لأن المملكة كانت تعيش رخاءً كبيراً، وللملكة عرش عظيم كانت تجلس عليه، وهو سرير ضخم مزين بمختلف أنواع الزينة.

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 359)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ أي إني وجدت في بلاد سبأ مملكة عظيمة ذات مجد تملكهم امرأة هي بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها قبلها ملكاً عظيم الملك، وأعطيت من متاع الدنيا الشيء الكثير من شراء وغنى، وملك وأبهة، وجيش مسلح بأنواع مختلفة من معدات القتال، وبإيجاز: أوتيت من كل شيء تحتاجه المملكة في زمانها، ولها سرير عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ، تجلس عليه، فوصفه بالعظم أي في الهيئة ورتبة السلطان، قال المؤرخون: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد، رفيع البناء، محكم الصنع، فيه ثلاث مائة طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحاً ومساءً، وهذا ما أشارت إليه الآية التالية المبينة عقيدتهم الدينية"[1]

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦ ﴾

"﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾ أي وجدت هذه الملكة وقومها يعبدون الشمس من غير الله ﷻ، وزين لهم الشيطان قبيح أعمالهم، فصاروا يرون السيء حسناً، ومنعهم الشيطان عن طريق الحق وعبادة الله ﷻ الواحد الأحد، فأصبحوا لا يهتدون إليه.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 312 – 313)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله ﷻ وحده، دون ما خلق من الكواكب وغيرها، وهو الخالق المبدع الذي يخرج إلى الوجود بعد العدم كل شيء مخبوء مغيب في السموات والأرض كالمطر والنبات والمعادن والمخلوقات، ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، ونظير الآية في القسم الأول منها: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ فصلت: ٣٧، ونظيرها في القسم الآخر: ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ الرعد: ١٠

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أي أنه بعد بيان الدليل على وجود الله ﷻ وتوحيده، وهو افتقار العالم إليه، نزهه وأبان عظمته، فذكر أنه الإله الواحد الذي لا شريك له، ولا معبود بحق سواه، وهو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه، فكل عرش مهما عظم فهو دونه، ومنها عرش بلقيس، فكان الواجب إفراده بالعبادة. فوصف الهدهد عرش بلقيس بالعظم بالنسبة أو بالإضافة إلى عرش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله ﷻ بالعظم بالنسبة إلى ما خلق من السماوات والأرض"[1]

بعدما فرغ من تقريره عن الملك، تحدث عن دين القوم، وكان حديثه بلهجة الداعية الغيور على الحق المنكر للباطل، فقال: وجدت ملكة سبأ وقومها يعبدون الشمس،

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 313 – 314)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويسجدون لها من دون الله ﷻ، والشيطان هو الذي دعاهم إلى الشرك، فاستجابوا له، وزين لهم سوء عملهم، فرأوا الشرك حسناً وبذلك أبعدهم عن طريق الحق، وأخذهم إلى الضلال، وكيف يسجدون للشمس ويعبدونها ويتركون عبادة الله ﷻ والسجود له وحده، والله ﷻ هو الخالق لكل شيء، العالم بكل شيء، ومن ذلك إخراجه لكل مخبوء مخفي في السموات والأرض، كالمطر والحب، وعلمه شامل لكل ما عند الناس من الأقوال والأفعال، المخفي منها والمعلن، وغير الله ﷻ لا يمكن أن يكون إلهاً؛ لأن الله ﷻ هو المعبود الحق، المالك لكل ما في السموات والأرض، وهو المالك للعرش العظيم، الذي هو أكبر وأعظم من السموات والأرض.

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ لقد قدم الهدهد عذراً عجيباً لغيابه، وبذلك نجا من العقاب، وفوجئ سليمان عليه السلام بما يسمعه من الهدهد، مما لم يكن له به علم سابق، والمطلوب الآن التأكد من صدق هذه المعلومات، والتأكد عن طريق الهدهد نفسه، قال سليمان عليه السلام للهدهد: سننظر في كلامك، ونتمهل ونتريث في قبوله، لنعرف هل كنت فيه صادقاً أو كاذباً، هذا كتاب مني إلى ملكة سبأ وقومها، اذهب به إليهم، واطرحه بينهم، وابتعد عنهم قليلاً، وراقب ردة الفعل عندهم، لترى ما يفعلون، وتسمع ما يقولون، وتتعرف على ما يقررون، ثم تأتي وتخبرني بكل ذلك.

" ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أي قال سليمان عليه السلام:

سنتعرف على مدى صحة قولك، أصادق في إخبارك هذا، أم أنك كاذب في مقالتك، لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك به؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمغايرة بين الجملتين الفعلية والاسمية في هذه الآية، وجعل الثانية اسمية للمبالغة، وإفادة ثبات صفة الكذب عليه، وأنه مداوم على الكذب لا ينفك عنه، ووسيلة الاختبار هي: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي إن سليمان عليه السلام كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها، يدعوها فيه إلى الإيمان والإسلام لله عز وجل، وأعطاه ذلك الهدهد، وأمره أن يلقيه إليهم، ثم يبتعد عنهم قريباً، ويتأمل رد الفعل، وما يراجع بعضهم بعضاً القول، ويناقش فيه"[1]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

"1. القائد يتفقد عادة جيشه وجنوده، وقد فعل ذلك سليمان عليه السلام أثناء مسيره ومروره بوادي النمل، فتفقد جنس الطير وجماعتها التي كانت تصحبه في سفره، وتظله بأجنحتها، وكان سبب تفقده ما تقتضيه عادة العناية بأمر الملك، والاهتمام بعناصر الجيش وبكل جزء منها، كما دل ظاهر الآية.

2. قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ دليل على أن الحد أي العقوبة على قدر الذنب، لا على قدر الجسد، ولكن يرفق بالمحدود في الزمان والصفة، وأما ذبحه فدليل على أن الله سبحانه وتعالى أباح له ذلك، كما أباح ذبح البهائم والطير للأكل وغيره من المنافع.

3. قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أي علمت ما لم تعلمه من الأمر، دليل على من قال: إن الأنبياء عليهم السلام تعلم الغيب، ودليل على أن الصغير يقول للكبير، والمتعلم للعالم: عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 314)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

4. الاعتذار الصحيح مقبول عند أهل الحق والإيمان، فقول الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ دفع فيه عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح."[1]

5. إخبار الله ﷻ لنا بشيء من علم الغيب يتعلق بنبي الله سليمان عليه السلام.

6. العدل في التحقيق والحكم واجب، ويكون بسماع كلام المتهم وقبول عذره إن كان مقبولاً.

"7. مشروعية التعزير لمن خالف أمر السلطان بلا عذر شرعي.

8. بيان أن هناك من كانوا يعبدون الشمس إذ سجودهم لها عبادة.

9. بيان أن الأحق بالعبادة هو الله ﷻ الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم."[2]

10. مهما أوتي الإنسان من علم يبقى علمه قليلاً، وقد يكون الأدنى منه يعلم ما لا يعلمه هو.

11. قد يعطي الله ﷻ الكافرين الكثير من متاع الدنيا للاستدراج، ولأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً.

12. وجوب غيرة المسلم على دينه، وإنكاره على أهل الباطل.

"13. مشروعية الاختبار وإجراء التحقيق مع المتهم.

14. مشروعية استخدام السلطان أفراد رعيته لكفاية المستخدم.

15. مشروعية إرسال العيون للتعرف على أحوال العدو وما يدور عنده."[3]

"16. كانت أمة بلقيس ممن يعبد الشمس؛ لأنهم كانوا زنادقة فيما يروى، وقيل: كانوا مجوساً يعبدون الأنوار، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم أي ما هم فيه من

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 314 -315)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 16)
[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 18)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكفر، وصدهم عن طريق التوحيد، فهم لا يهتدون إلى الله ﷻ وتوحيده، وزين لهم ألا يسجدوا لله ﷻ، أو فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله ﷻ، وهذا دليل على أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به قطعاً.

17. إن الله ﷻ الذي خلق فسوى، وأخرج المخبوء في السماوات والأرض كالمطر من السماء والنبات والكنوز من الأرض، هو الذي تجب عبادته، وهو الذي يستحق العبادة. والآية دلت على وصف الله ﷻ بالقدرة والعلم، أما القدرة: فقوله: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ وهو يتناول جميع أنواع الأرزاق والأموال وإخراجه من السماء بالغيث، ومن الأرض بالنبات. وأما العلم فقوله: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾.

18. قول الهدهد: ﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ﴾، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ دليل على أنه داع إلى الخير، وعبادة الله ﷻ وحده والسجود له.

19. قوله ﷻ: ﴿ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم، بباطن أعذارهم؛ لأن سليمان عليه السلام لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه. وإنما صار صدق الهدهد عذراً؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد، وكان سليمان عليه السلام حبب إليه الجهاد.

20. دلت آية: ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾ على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعوتهم إلى الإسلام، كما دلت الآية على سرعة الهدهد في تبليغ الكتاب إليهم، وعلى إيتائه قوة المعرفة وفهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلامهم، وأن الملكة فهمت الكتاب فوراً بواسطة مترجم، وعلى حسن آداب الرسل عليهم السلام أن يتنحوا عن المرسل إليهم بعد أداء الرسالة، للتشاور فيها."[1]

21. على المسؤول التريث والتأني في الحكم على ما يسمع من كلام ويقرأ من تقارير الآخرين، وعدم المسارعة بقبول ذلك أو رده من دون تثبت.

22. قدرة الطيور على العلم بأحوال الناس، وإدراك حقائق الأشياء.

23. إثبات العرش الذي استوى عليه رب العزة ﷻ.

❁ ❁ ❁

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 316 - 317)

سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ بلقيس

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة الخامسة

سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ بلقيس

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا
تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ
قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ
يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن
مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ
مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى
ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ
رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النمل: ٢٩ - ٤٤

ذهب الهدهد وألقى الكتاب إلى الملكة فقرأته، فجمعت أشراف قومها، وسمعها تقول لهم: إني وصل إليَّ كتاب جليل المقدار من شخص عظيم الشأن، ثم بيَّنت ما فيه فقالت: إنه من سليمان عليه السلام، وإنه مفتتح بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" ألا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه، وأقْبِلوا إليَّ منقادين لله عز وجل بالوحدانية والطاعة مسلمين له، قالت: يا أيها الأشراف أشيروا عليَّ في هذا الأمر، ما كنت لأفصل في أمر إلا بمحضركم ومشورتكم، قالوا مجيبين لها: نحن أصحاب قوة في العدد والعُدَّة وأصحاب النجدة والشجاعة في شدة الحرب، والأمر موكول إليكِ، وأنتِ صاحبة الرأي، فتأملي ماذا تأمريننا به؟ فنحن سامعون لأمرك مطيعون لك، قالت محذرةً لهم من مواجهة سليمان عليه السلام بالعداوة، ومبيِّنة لهم سوء مغبَّة القتال: إن الملوك إذا دخلوا بجيوشهم قريةً عنوةً وقهرًا خرَّبوها وصيَّروا أعزَّة أهلها أذلة، وقتلوا وأسروا، وهذه عادتهم المستمرة الثابتة لحمل الناس على أن يهابوهم، وإني مرسلة إلى سليمان عليه السلام وقومه بهديَّة مشتملة على نفائس الأموال أصانعه بها، ومنتظرة ما يرجع به الرسل، فلمَّا جاء رسول الملكة بالهديَّة إلى سليمان عليه السلام، قال مستنكرًا ذلك متحدثًا بأَنْعُمِ الله عز وجل عليه: أتمدونني بمالٍ تَرْضيةً لي؟ فما أعطاني الله عز وجل من النبوة والملك والأموال الكثيرة خير وأفضل مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها، وقال سليمان عليه السلام لرسول أهل سبأ: ارجع إليهم، فوالله لنأتينَّهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها، ولنخرجنَّهم مِن أرضهم أذلة وهم صاغرون مهانون، إن لم ينقادوا لدين الله عز وجل وحده، ويتركوا عبادة من سواه، قال سليمان عليه السلام مخاطبًا من سَخَّرهم الله سبحانه وتعالى له من الجن والإنس: أيُّكم يأتيني بسرير ملكها العظيم قبل أن يأتوني منقادين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طائعين؟ قال مارد قويٌّ شديد من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي تجلس فيه للحكم بين الناس، وإني لقويٌّ على حَمْله، أمين على ما فيه، آتي به كما هو لا أُنقِص منه شيئًا ولا أبدله، قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك إذا تحرَّكتْ للنظر في شيء، فأذن له سليمان عليه السلام فدعا الله سبحانه وتعالى، فأتى بالعرش، فلما رآه سليمان عليه السلام حاضرًا لديه ثابتًا عنده قال: هذا مِن فضل ربي الذي خلقني وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أأشكر بذلك اعترافًا بنعمته سبحانه وتعالى عليَّ أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر لله عز وجل على نعمه فإنَّ نَفْعَ ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي سبحانه وتعالى غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة، قال سليمان عليه السلام لمن عنده: غيِّروا سرير ملكها الذي تجلس عليه إلى حال تنكره إذا رأته؛ لنرى أتهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون؟ فلما جاءت ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام في مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنه يشبهه، فظهر لسليمان عليه السلام أنها أصابت في جوابها، وقد علمت قدرة الله سبحانه وتعالى وصحة نبوة سليمان عليه السلام، فقال: وأوتينا العلم بالله عز وجل وبقدرته مِن قبلها، وكنا منقادين لأمر الله عز وجل متبعين لدين الإسلام، ومَنَعَها عن عبادة الله سبحانه وتعالى وحده ما كانت تعبده مِن دون الله سبحانه وتعالى، إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين، واستمرت على دينهم، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما تعرف به الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تُذهب بصيرة القلب، قيل لها: ادخلي القصر، وكان صحنه مِن زجاج تحته ماء، فلما رأته ظنته ماء تتردد أمواجه، وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فقال لها سليمان عليه السلام: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته، فأدركت عظمة ملك سليمان عليه السلام،

وقالت: رب إني ظلمت نفسي بما كنت عليه من الشرك، وانقدتُ متابعة لسليمان عليه السلام داخلة في دين رب العالمين أجمعين.

﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١ ﴾ اشتمل الكتاب على ثلاثة أسس: البسملة الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته، والنهي عن الاستكبار والاستعلاء، والدعوة الصريحة إلى الدخول في الإسلام.

"﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾ أي قالت بلقيس لأشراف قومها ومستشاريها وأركان دولتها ومملكتها: يا أشراف القوم، إني ألقي إلي كتاب كريم: لأن مرسله نبي الله سليمان عليه السلام، وهو ملك كريم، ولحسن مضمونه وجمال عباراته، ولأنه كان مختوماً، قال ﷺ: "كرامة الكتاب: ختمه"

وكان ﷺ يكتب إلى العجم، فقيل له: إنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم، فاتخذ لنفسه خاتماً كما أن فيه عجيب أمر حامله، وهو طائر ألقاه به إليها، ثم تولى عنها أدباً، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١ ﴾ أي قرأت الكتاب على أشراف قومها، وكان في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة شاملاً أموراً ثلاثة:

1. البسملة الدالة على إثبات الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وقدرته ورحمته.
2. النهي عن الترفع الذي يحجب وصول الحق إلى النفوس، والنهي عن الانقياد للأهواء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

3. الأمر بالإسلام الجامع لأصول الفضائل، أو الأمر بالانقياد والطاعة لأمر سليمان عليه السلام.

قال العلماء: لم يكتب أحد: بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام، وبه ثبت أن هذا الكتاب على وجازته جامع كل ما لا بد منه من أمور الدين والدنيا"[1]

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ قد دل هذا السؤال على حسن سياستها وحكمتها في تسيير أمور الدولة وحل المشكلات التي تفترضها، إن حكمها ليس فردياً استبدادياً، ولكنه يقوم على المشورة وحسن السياسة والديمقراطية، فإنها استعطفتهم ليعينوها على اتخاذ الرأي الأفضل والأخلص والأصوب، فأجابوها بإظهار الاستعداد للقتال والحرب والدفاع عن المملكة.

﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

أجاب الملأ الملكة بأنهم جاهزون لتنفيذ ما تأمر به، وذكروا لها أنهم أولو قوة قتالية وجسدية وعددية، وبأس وشدة وثبات وشجاعة في الحرب، فإن أرادت الحرب، فهم على أتم الاستعداد، وبعد ذلك فالأمر إليك، مري فينا رأيك نمتثله ونطيعه، كان جوابهم أحسن جواب ولا يمكن ذكر جواب أحسن منه، حيث أظهروا لها الطاعة فيما تتخذه من قرار، سواء كانت تريد السلم والمصالحة أو الحرب، وفيه إظهار القوة الذاتية والعرضية.

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

"أي قالت بلقيس لهم حين أظهروا استعدادهم لقتال سليمان عليه السلام: إن الملوك إذا دخلوا بلداً عنوة، خربوه وأتلفوا الديار والأموال، وأذلوا أعزة أهلها بالقتل أو الأسر،

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 320 - 321)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأهانوهم غاية الهوان؛ لتتحقق لهم الغلبة والرهبة، ويفعلون هكذا، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ الأقرب أنه من كلامها الذي أرادت به أن هذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير؛ لأنها كانت في بيت الملك القديم، فسمعت نحو ذلك ورأت.

وهذا تحذير لقومها من محاربة سليمان عليه السلام ومجيئه إليهم ودخوله بلادهم، وبعد أن استبعدت فكرة الحرب، لجأت إلى الوسائل الودية ومنها المسالمة والمصالحة، واقترحت إرسال هدية إليه، وكان ذلك هو الرأي السديد"[1]

أرادت تحذيرهم من قتال سليمان عليه السلام؛ لأنها تعلم أنه أقوى منها، وإن قاتلته فستنهزم أمامه وسيفعل بهم ما ذكرت لهم.

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾

بعد أن نفرتهم من الحرب، ألجات إلى هذه التجربة وهي بعث هدية إليه، هدية ثمينة مشتملة على ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك، تليق بمثله، وأختبر أمره، أهو نبي أم ملك؟ وانتظر ماذا يكون جوابه عليها، هل يقبل ذلك منا ويكف عنا، أو يرفضها ويصر على دعوته الواردة في الكتاب، أو يفرض علينا خراجاً نرسله إليه في كل عام، فنأمن جانبه، ويترك قتالنا.

قال قتادة: "ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس"[2]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: "قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه"[3]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 322)
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 171)
[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 171)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا من أقوى الأدلة على رجاحة عقلها حيث أمرت قومها باتباعه إن كان نبياً، فكانت مشورتها مع قومها سبباً لنجاتها ونجاة قومها وسبب إسلامها وسعادتها في الدارين: في الدنيا بالإسلام والزواج بنبي الله سليمان عليه السلام، وفي الآخرة بالخلود في الجنان.

"قالت لقومها إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكاً دنيوياً: أرضاه المال، وإن كان نبياً لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولنا في دينه، فبعثت إليه هدية عظيمة"[1]

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾

"﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ إنكار للهدية؛ لأن الله سبحانه وتعالى أغناه عنها بما أعطاه ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ أي أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها، وأنا لست كذلك"[2]

"إنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسها، على ما ذكرناه من كون سليمان عليه السلام ملكاً أو نبياً؛ لأنه قال لها في كتابه: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ وهذا لا تقبل فيه فدية، ولا يؤخذ عنه هدية، وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة عن قبول الهدية بسبيل، وإنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل، وهي الرشوة التي لا تحل، وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال، وهذا ما لم يكن من مشرك"[3]

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 102)
[2] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 102)
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 198)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُمۡ بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾

"ارجع أيها المبعوث إليهم بهديتهم، فإنا سنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بقتالهم، ولنخرجنهم من بلدتهم أذلة، وهم مهانون مدحورون، إن لم يأتوا مسلمين منقادين لله ﷻ رب العالمين"[1]

أعاد لهم هديتهم وقال لهم: خذوا هديتكم معكم، وافرحوا بها، وعودوا بها إلى بلادكم، وانتظروا الحرب القادمة، لنأتينكم بجنود كثيرين لا قدرة لكم على قتالهم ومواجهتهم، وسوف تنهزمون، ونخرجكم من بلادكم أذلة صاغرين مهانين محتقرين!! وبذلك انتهت محاولة الملكة مهادنة سليمان بالفشل؛ لأنه كان رجل دعوة وليس طالب مال.

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾

"القائل: سليمان عليه السلام، والملأ جماعة من الجن والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وصف له بعظمة، فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، فمسلمين على هذا من الدخول في دين الإسلام، وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ ليظهر لهم قوّته، فمسلمين على هذا بمعنى منقادين"[2]

"أولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان عليه السلام بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله ﷻ وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 323)
[2] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 102)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جوف أبيات بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله ﷻ من ذلك كله، بغير فتح إغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان عليه السلام، وعلى صدق سليمان عليه السلام فيما أعلمها من نبوته"[1]

أدرك سليمان عليه السلام أن ملكة سبأ لن تلجأ إلى الحرب، وأنها ستتوجه بوفد من قومها إليه؛ لتستجيب لدعوته وتدخل في دينه، وأراد أن يريها بعض مظاهر القوة الخارقة التي أيده الله ﷻ بها، ليؤثر فيها، ويقودها ذلك إلى الإيمان بالله ﷻ.

وعلم عليه السلام فهو نبي يوحى إليه أن الملكة غادرت عاصمتها مع وفد من قومها، متوجهين إليه، فأراد إحضار عرشها العظيم، الذي أخبره عنه الهدهد، وعرض على رجاله المساعدين له إحضار عرشها بخارقة مادية، فقال لهم: أيكم يستطيع إحضار عرشها عندي قبل أن تصل مع وفد قومها؟

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

"﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ ﴾ روي عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن اسم هذا العفريت كوزن ﴿ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ قبل أن تقوم من موضع الحكم، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر، وقيل:معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائماً، ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (18/ 65)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هو آصف بن برخيا، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله ﷻ الأعظم وقيل: هو الخضر عليه السلام، وقيل هو جبريل عليه السلام، والأول أشهر، وقيل سليمان عليه السلام وهذا بعيد، ﴿ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ في الموضعين:

يحتمل أن يكون فعلاً مستقبلاً أو اسم فاعل ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ الطرف العين، فالمعنى على هذا قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شيء وقيل: الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ قيل: هنا محذوف تقديره: فجاءه الذي عنده، علم من الكتاب بعرشها، ومعنى مستقرّاً عنده حاصلاً عنده وليس هذا بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافاً لمن فهم ذلك ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي منفعة الشكر لنفسه"[1]

لما عرض سليمان عليه السلام على رجاله إحضار العرش تلقى عرضين لإحضاره:

العرض الأول: قدمه عفريت من الجن، وهو جني قوي شديد سريع نشيط، واستعد أن يحضر العرش في مدة قصيرة، وقال له: أنت الآن جالس في مجلسك، ولو كلفتني بإحضاره لأحضرته لك قبل أن تقوم من مقامك، وأنا له ضامن؛ لأني قوي قادر على حمله، وأمين على ما فيه من الزينة، لا آخذ منه شيئاً.

العرض الثاني: قدمه رجل من الإنس، جالس عند سليمان عليه السلام عنده علم من كتاب الله ﷻ اختص به واستطاع بذلك العلم فعل الخوارق بإذن الله ﷻ، وقال لسليمان عليه السلام: أنا أحضره لك في لمح البصر، فما أن تفتح عينيك، وترسل بصرك، حتى ترى العرش أمامك، قبل أن ترجع طرفك إليك! وأمر سليمان عليه السلام الإنسي

[1] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 102)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي عنده علم من الكتاب بإحضار العرش، فأحضره بقدرة الله ﷻ التي مكنه منها، وأعانه عليها، ولا نعرف كيف أحضره؛ لأن إحضاره لم يكن بوسيلة معتادة بشرية، لبعد المسافة بين اليمن والأرض المقدسة، المهم أنه أحضره بأمر الله ﷻ.

ولما رأى سليمان عليه السلام العرش موجوداً أمامه، ومستقراً عنده، لم ينقص منه شيء، حمد الله ﷻ، وقال: هذا من نعم الله ﷻ عليَّ، منَّ به عليَّ ليختبرني: هل أشكره ﷻ على هذه النعمة، أم أكفرها وأجحدها.

وعليَّ أن أشكره ﷻ؛ لأن نفع الشاكر يعود عليه، والله ﷻ لا ينتفع بذلك الشكر، ومن جحد النعمة وكفرها كان هو الخاسر، ولم يضر الله ﷻ شيئاً، والله ﷻ غني عن عبادة عباده وشكرهم، غير محتاج إليهم، وهو كريم يعطيهم النعم الكثيرة، ولو لم يشكروه عليها.

﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

"﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل: الزيادة فيه والنقص منه، وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها ﴿ أَتَهْتَدِىٓ ﴾ يحتمل أن يريد: تهتدي لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان"[1]

قال سليمان عليه السلام: غيروا بعض أوصاف سرير ملكها وهيئته بزيادة ونقصان، كما يتنكر الإنسان حتى لا يعرف؛ لننظر إذا رأته هل تهتدي إلى أنه عرشها وتعرفه، أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون؟ أراد بذلك اختبار ذكائها وعقلها وفطنتها، وذلك يدل على قدرة الله ﷻ بنقله من مكان بعيد إلى بلاد الشام، وعلى صدق سليمان عليه السلام.

[1] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 102)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

" ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان عليه السلام فأمر بتنكيره، وأن يقال لها أهكذا عرشك؟ أي أمثل هذا عرشك؟

لئلا تفطن أنه هو، فأجابته بقولها: ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ جواباً عن السؤال، ولم تقل هو تحرزاً من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾ هذا من كلام سليمان عليه السلام وقومه لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافاً بنعمة الله عز وجل عليهم، في أن آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله سبحانه وتعالى وصحة النبوّة وأوتينا نحن العلم قبلها ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان عليه السلام وقومه، أو من كلام الله سبحانه وتعالى، ويحتمل أن يكون "ما كانت تعبد" فاعلاً أو مفعولاً، فإن كان فاعلاً، فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله سبحانه وتعالى والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت، وإن كان مفعولاً: فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى صدها الله سبحانه وتعالى أو سليمان عليه السلام عن ما كانت تعبد من دون الله سبحانه وتعالى فدخلت في الإسلام"[1]

"﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ أي حين قدمت، عرض عليها عرشها (سرير الملك) وقد غير وزيد فيه ونقص، فسئلت عنه: أمثل هذا عرشك؟ ولم

[1] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 103)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقل: أهذا عرشك؟ لئلا يكون تلقينا، فقالت: كأنه هو، أي يشبهه ويقاربه، ولم تجزم أو تقطع يقيناً بأنه هو، لاحتمال أن يكون مثله بسبب بعد مسافته عنها.

وكان جوابها جواب سياسي بارع ذكي محنك، دل على كمال عقلها ودهائها، وثبات شخصيتها، وأنها في غاية الذكاء والحزم، فشبهت عليهم من حيث شبهوا عليها. ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ الظاهر كما **قال أبو حيان**: "أن هذا الكلام ليس من كلام بلقيس، وإن كان متصلاً بكلامها، فقيل- وهو قول مجاهد: من كلام سليمان عليه السلام، أي أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها، وكنا في كل ذلك موحدين خاضعين لله سبحانه وتعالى، وقيل: من كلام قوم سليمان عليه السلام وأتباعه"[1]

ثم أبان الله سبحانه وتعالى عذر بلقيس في عدم إعلانها الإسلام قبل ذلك فقال: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ أي ومنعها عن عبادة الله سبحانه وتعالى وإظهار الإسلام ما كانت تعبد من غير الله عز وجل وهو عبادة الشمس، فإنها كانت من قوم وثنيين كانوا يعبدون الشمس، فتأثرت بالبيئة التي نشأت فيها، ولم تكن قادرة على تغيير عقيدتها، حتى جاءت إلى بلاد سليمان عليه السلام الذي أحسن عرض الإسلام عليها، وأقنعها بصحته ووجوب الاعتقاد بوجود الله عز وجل ووحدانيته، فهو رب الكون جميعه، ورب الكواكب كلها، شمسها وقمرها ونجومها العديدة"[2]

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[1] البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (8/ 242)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 333 – 334)

"هذا جار على عادة استقبال الملوك والرؤساء في قصور الضيافة الفخمة، فقد قال لها وفد الاستقبال السليماني: ادخلي هذا القصر المشيد العالي، فإنه بني لاستقبال العظماء، وليريها سليمان عليه السلام ملكاً أعز من ملكها، وسلطاناً هو أعظم من سلطانها، وكان صحنه من الزجاج الأبيض الشفاف، فلما رأت مدخله الفخم ظنت وجود ماء مجتمع كثير فيه، فكشفت عن ساقيها، فقال لها سليمان عليه السلام: إنه قصر مصنوع من الرخام الأمرد ذي السطح الأملس، ومن الزجاج الصافي، وأن الماء يجري تحته لا فيه، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء.

وحينئذ استدلت بكل ما رأت على التوحيد والنبوة فأعلنت إسلامها، وأراد الله سبحانه وتعالى لها الخير والهداية، فقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي يا ربي، إني ظلمت نفسي في الماضي بعبادة غيرك، وأسلمت مع إسلام سليمان عليه السلام، وخضعت لله عز وجل رب العوالم كلها من الإنس والجن"[1]

" ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾

الصرح في اللغة هو القصر، وقيل: صحن الدار، روي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصراً من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما رأته حسبته لجة، واللجة الماء المجتمع كالبحر، فكشفت عن ساقيها لتدخله لما أمرت بدخوله، وروي أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مجنون، وإن رجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقاً، فتزوجها وأقرها على

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 334 – 335)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل: أسكنها معه بالشام ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَا﴾ لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء قال لها سليمان عليه السلام: إنه صرح ممرّد والممرّد الأملس، وقيل الطويل، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني بكفرها فيما تقدم ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾"[1]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

"1. مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في الرسائل والكتب الهامة ذات البال لدلالتها على توحيد الله عز وجل وأنه رحمن رحيم، وأن الكاتب يكتب بإذن الله عز وجل له بذلك"[2]

"2. تقرير مبدأ الشورى في الحكم.

3. مشروعية إبداء الرأي بصدق ونزاهة ثم ترك الأمر لأهله.

4. مشروعية إعداد العدة وتوفير السلاح وتدرب الرجال على حمله واستعماله.

5. دخول العدو المحارب الغالب البلاد عنوة ذو خطورة فلذا يتلافى الأمر بالمصالحة.

6. بيان حسن سياسة الملكة بلقيس وفطنتها وذكائها ولذا ورثت عرش أبيها"[3]

"7. أهل الآخرة لا يفرحون بالدنيا، وأهل الدنيا لا يفرحون بالآخرة.

8. استعمال أسلوب الإرهاب والتخويف مع القدرة على إنفاذه مع العدو أليق.

9. تقرير أن سليمان عليه السلام كان يستخدم الجن وأنهم يخدمونه في أصعب الأمور.

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 103)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 18)
[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 20)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

10. استجابة الله ﷻ لسليمان عليه السلام فأحضر له العرش من مسافة شهرين أي من اليمن إلى الشام قبل ارتداد طرف الناظر إذا فتح عينه ينظر.

11. وجوب رد الفضل إلى أهله فسليمان عليه السلام قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ والجهال يقولون بثورتنا الخلاقة، وأبطالنا البواسل.

12. وجوب الشكر، وعائدته تعود على الشاكر فقط، ولكرم الله ﷻ قد لا يسلب النعمة فور عدم شكرها؛ وذلك لحلمه ﷻ وكرمه"[1]

"13. جواز اختبار الأفراد إذا أريد إسناد أمر لهم لمعرفة قدرتهم العقلية والبدنية.

14. بيان حصافة عقل بلقيس ولذا أسلمت ظهر ذلك في قولها ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾

15. مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكير للعقل والمنطق.

16. حرمة كشف المرأة ساقيها حتى لو كانت كافرة فكيف بها إذا كانت مسلمة.

17. فضيلة الائتساء بالصالحين كما ائتست بلقيس بسليمان عليه السلام في قولها ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾"[2]

18. كان الملوك وغيرهم يتراسلون فيما بينهم من قديم الزمان.

19. استعمال الطيور في المراسلات.

20. بدأ سليمان عليه السلام خطابه بالتسمية، ولا تزال هذه السنة ماضية في مخاطبات المسلمين.

21. يجب أن تكون الدعوة إلى الله ﷻ بالحسنى واللطف، كما ظهر ذلك من كتاب سليمان عليه السلام لملكة سبأ.

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 22)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 25)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"22. أدب الخطاب وخصوصاً في مجال الدعوة إلى الله ﷻ في مكاتبات الملوك ورؤساء الدول مطلوب شرعاً، لذا وصفت بلقيس كتاب سليمان عليه السلام بأنه كتاب كريم، لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعوة إلى عبادة الله ﷻ، وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً.

23. كانت عادة المتقدمين في المكاتبة أو المراسلة أن يبدؤوا بأنفسهم من فلان إلى فلان، وسار السلف الصالح من أمتنا على هذا المنهج معاملة بالمثل.

24. إذا كانت التحية واردة في رسالة ينبغي على المرسل إليه أن يرد الجواب؛ لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر.

25. اتفق العلماء على البدء بالبسملة: بسم الله الرحمن الرحيم في أول الكتب والرسائل، وعلى ختمها لأنه أبعد من الريبة.

26. كان مضمون كتاب سليمان عليه السلام مع وجازته مشتملاً على المقصود وهو إثبات وجود الله ﷻ وصفاته الحسنى، والنهي عن الانقياد للهوى والنفس والترفع والتكبر، والأمر بالإسلام والطاعة، بأن يأتوه منقادين طائعين مؤمنين.

27. المشاورة أمر مطلوب في كل شيء عام أو خاص ما لم يكن سراً؛ لأنها تحقق نفعاً ملحوظاً للتوصل إلى أفضل الآراء وأصوبها، وخصوصاً في الحروب والمصالحات وقضايا الأمة العامة، فإنه ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم.

28. كان من حسن نظر الملكة بلقيس وتدبيرها اختبار أمر سليمان عليه السلام بإرسال هدية عظيمة إليه، فإن كان نبياً لم يقبلها ولم يرضَ إلا اتباعهم على دينه، وإن كان

ملكاً قبل الهدية، وللهدية تأثير في كسب المودة والمحبة، واستلال الحقد والضغينة، وإنهاء الخصومة والمشاحنة"[1]

29. من أدب المستشارين تقديم آرائهم بأحسن صورة، وتفويض الحاكم باتخاذ القرار.

30. حكمة سليمان عليه السلام في رد الهدية وإغلاظ القول لمن جاء بالهدية أدى بهم إلى الخضوع له والدخول في الإسلام.

31. الإسلام دين الأنبياء عليهم السلام جميعاً، فهو الدين الوحيد عند الله عز وجل، ولذلك أمر سليمان عليه السلام ملكة سبأ وقومها أن يأتوه مسلمين.

32. الداعية ليس جامع مال ولا طالب دنيا، ولا يقبل الهدية إذا كانت ثمناً لسكوته عن الدعوة.

33. القدرة التي يتصف بها الجن والشياطين، حيث يستطيع الجني نقل العرش من اليمن إلى بلاد الشام في مدة وجيزة.

34. قد يتفوق الإنس على الجن بالعلم.

35. تواضع سليمان عليه السلام لعظمة الله عز وجل مع ما أوتيه من ملك، واستخدام ما أوتيه في الدعوة إلى الله عز وجل.

36. إذا ذكر المؤمن بعض نعم الله سبحانه وتعالى عليه فليكن ذلك من باب شكر الله سبحانه وتعالى والتحدث بنعم الله سبحانه وتعالى عليه.

37. قد يتحدث المؤمن عن بعض مواهبه وصفاته من دون رياء ولا مباهاة، لكن ليعرفه الآخرون.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 323 – 326)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"38. استدعى سليمان عليه السلام عرش بلقيس (كرسي الملك) من بلاد اليمن إلى بلاد الشام ليريها قدرة الله سبحانه وتعالى العظمى، ويجعله دليلاً على نبوته لأخذه من قصرها دون جيش ولا حرب، وقبل أن تأتي هي وجماعتها إليه مستسلمين.

39. ظهرت قدرة الله سبحانه وتعالى على يد مؤمن عالم بكتاب الله عز وجل وبأسراره وبالاسم الأعظم، فجيء بعرش بلقيس بسرعة خاطفة، وكان هذا العالم بإقدار الله سبحانه وتعالى وتوفيقه أقدر من عفريت الجن- وهو القوي المارد- الذي استعد للإتيان به، في زمن أطول، ولكنه سريع وقريب وقصير أيضاً، إذ كان في مدة زمن القضاء اليومي، وأما زمن العالم فهو بمقدار إطباق الأجفان وفتحها، وفي هذا دلالة على سمو مرتبة العلم ورفعة العلماء في الدنيا والآخرة إذا عملوا بعلمهم صالحات الأعمال.

40. إن ما حدث من إحضار العرش بهذه السرعة هو معجزة لسليمان عليه السلام، والمعجزات خوارق للعادات، لا تخضع لمقاييس الأحوال العادية، ولا يصدق بالمعجزة إلا مؤمن بقدرة الله عز وجل، أما الكافر الملحد أو المادي الذي لا يصدق إلا بما يقدمه العلم التجريبي، فإن إقناعه بذلك عبث. وقد أراد سليمان عليه السلام أن يظهر لها أن الجن مسخرون له، وكذلك الشياطين لتعرف أنها نبوة، وتؤمن بنبوته.

41. إن ظهور المعجزة على يد الأنبياء عليهم السلام أمر موجب للشكر والحمد الكثير لله عز وجل، لتأييدهم بها، ولإظهار عجزهم الحقيقي أمامها، لذا قال سليمان عليه السلام لما رأى العرش ثابتاً مستقراً عنده: هذا من فضل ربي أي هذا النصر والتمكين من فضل الله سبحانه وتعالى ربي، لينظر أأكون شاكراً حامداً، أما كافراً بالنعمة جاحداً؟

42. لا يرجع نفع الشكر إلا إلى الشاكر نفسه؛ لأنه بالشكر يحقق تمام النعمة ودوامها والمزيد منها، وبه تنال النعمة المفقودة أيضاً، وأما ضرر الكفر والجحود

فعائد كذلك إلى الكافر نفسه، ومع كفره فإن الله ﷻ غني عن شكره، كريم في التفضل والإنعام عليه بالرغم من الكفر.

43. إن تنكير العرش وتغيير هيئته فيه استثارة البحث، وإمعان النظر، وإعمال العقل، وتركيز الانتباه إلى آية المعجزة، وقد بدا كل هذا في جواب بلقيس كأنه هو. قال عكرمة: كانت حكيمة.

44. قوله ﷻ: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾ إذا كان من قول سليمان عليه السلام وهو الظاهر فيراد به أنه أوتينا العلم بقدرة الله ﷻ على ما يشاء من قبل هذه المرة، أو أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها. وإذا كان من قول بلقيس، فيراد به أنه أوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام من قبل آية العرش هذه، وكنا مسلمين منقادين لأمره.

45. ما أجمل تقديم هذا الاعتذار عن تأخر إسلام بلقيس إلى لقاء سليمان عليه السلام، وهو تأثرها بالبيئة وعقيدة أهل المملكة، فقد منعها أن تعبد الله ﷻ ما كانت تعبد من الشمس والقمر، وكانت من قوم كافرين غير مؤمنين بوجود الله ﷻ ووحدانيته.

46. أراد سليمان عليه السلام أيضاً بالإضافة إلى إظهار المعجزة لنبوته بإحضار عرش بلقيس أن يبهرها بقوة ملكه، وعزة سلطانه، وأن ذلك أعز وأمنع من مملكتها الغنية، وبلادها الخصبة، وقصورها المشيدة. كما أنها شهدت في صرح سليمان عليه السلام فناً رائعاً في البناء والهندسة المعمارية ما لا مثيل له حتى في أوج العصر الحاضر وعظمة تقدم العلم والفن في القرن العشرين، ولعل عظمة بناء المسجد الأقصى خير مثال على تقدم فن البناء وعظمته في عهد سليمان عليه السلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

47. تبلورت قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس في تلك الخاتمة المشرقة وهي تبرؤ بلقيس من الشرك الذي كانت عليه، وإعلان إيمانها بالله سبحانه وتعالى الواحد الأحد، وإظهار إسلامها كإسلام سليمان عليه السلام، وخضوعها لله عز وجل رب العالمين"[1]

48. الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده الصالحين ويختبرهم بالفضل والخير ليشكروه.

49. على الدعاة استخدام الوسائل والأساليب المادية المتطورة للدعوة إلى الله عز وجل.

50. البيئة التي يعيش فيها الإنسان تؤثر في فكره وتصوره ودينه وحياته.

51. الإسلام هو دين الأنبياء عليهم السلام جميعاً، وروح الرسالات كلها، والمؤمنون السابقون كلهم مسلمون.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 335 – 337)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صالح عليه السلام مع قومه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة السادسة

صالح عليه السلام مع قومه

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾
وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟
بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ
﴿٥٣﴾ ﴾ النمل: ٤٥ - ٥٣

"يخبر ﷻ أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة أخاهم في النسب صالحاً وأنه أمرهم أن يعبدوا الله ﷻ وحده ويتركوا الأنداد والأوثان، ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ منهم المؤمن ومنهم الكافر وهم معظمهم، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾أي لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها قبل فعل الحسنات التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟ ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾فإن رحمة الله ﷻ قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين،﴿ قَالُوا ﴾لنبيهم صالح عليه السلام مكذبين ومعارضين: ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾زعموا – قبحهم الله ﷻ – أنهم لم يروا على وجه صالح عليه السلام خيراً وأنه هو ومن معه من المؤمنين صاروا سبباً لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح عليه السلام: ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾أي ما أصابكم إلا بذنوبكم، ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾بالسراء والضراء والخير والشر لينظر هل تقلعون وتتوبون أم لا؟ فهذا دأبهم في تكذيب نبيهم وما قابلوه به،﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ التي فيها صالح عليه السلام الجامعة لمعظم قومه ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ أي وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح قد استعدوا لمعاداة صالح عليه السلام والطعن في دينه ودعوة قومهم إلى ذلك كما قال ﷻ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٠ - ١٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة حتى إنهم من عداوتهم ﴿ تَقَاسَمُوا ﴾فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾أي نأتيه ليلاً هو وأهله فلنقتلنهم ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ ﴾ إذا قام علينا وادعى علينا أنا قتلناه ننكر ذلك وننفيه ونحلف ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ فتواطئوا على ذلك، ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا ﴾ دبروا أمرهم على قتل صالح عليه السلام وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفاً من أوليائه ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر ولهذا قال: ﴿ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ ﴾ قد تهدمت جدرانها على سقوفها وأوحشت من ساكنيها وعطلت من نازليها ﴿ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾أي هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله ﷻ وبغيهم في الأرض، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الحقائق ويتدبرون وقائع الله ﷻ في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك ويعلمون أن عاقبة الظلم الدمار والهلاك وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز، ولهذا قال: ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾أي أنجينا المؤمنين بالله ﷻ وملائكته وكتبه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكانوا يتقون الشرك بالله ﷻ والمعاصي ويعملون بطاعته وطاعة رسله عليهم السلام"[1]

ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا عليه السلام: أن وحِّدوا الله ﷻ، ولا تجعلوا معه إلهًا آخر، فلما أتاهم صالحٌ عليه السلام داعيًا إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وحده صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه، قال صالح عليه السلام للفريق الكافر: لِمَ تبادرون الكفر وعمل السيئات الذي يجلب لكم العذاب، وتؤخرون الإيمان وفِعْل الحسنات الذي يجلب لكم الثواب؟ هلا تطلبون المغفرة من الله ﷻ ابتداء، وتتوبون إليه؛ رجاء أن ترحموا، قال قوم صالح عليه السلام له: تَشاءَ مْنا بك وبمن معك ممن دخل في دينك، قال لهم صالح عليه السلام: ما أصابكم الله ﷻ مِن خير أو شر فهو مقدِّره عليكم ومجازيكم به، بل أنتم قوم تُخْتَبرون بالسراء والضراء والخير والشر، وكان في مدينة صالح عليه السلام – وهي "الحِجْر" الواقعة في شمال غرب جزيرة العرب– تسعة رجال، شأنهم الإفساد في الأرض، الذي لا يخالطه شيء من الصلاح، قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: تقاسموا بالله ﷻ بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتينَّ صالحًا بغتة في الليل فنقتله ونقتل أهله، ثم لنقولَنَّ لوليِّ الدم مِن قرابته: ما حضرنا قتلهم، وإنا لصادقون فيما قلناه، ودبَّروا هذه الحيلة لإهلاك صالح عليه السلام وأهله مكرًا منهم، فنصرنا نبينا صالحًا عليه السلام، وأخذناهم بالعقوبة على غِرَّة، وهم لا يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم، فانظر –أيها الرسول– نظرة اعتبار إلى عاقبة غَدْر هؤلاء الرهط بنبيهم صالح عليه السلام؟ أنا أهلكناهم وقومهم أجمعين، فتلك مساكنهم خالية ليس فيها منهم أحد، أهلكهم الله ﷻ؛ بسبب

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 606

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم، إن في ذلك التدمير والإهلاك لَعظة لقوم يعلمون ما فعلناه بهم، وهذه سنتنا فيمن يكذب المرسلين، وأنجينا مما حلَّ بثمود من الهلاك صالحًا عليه السلام والمؤمنين به، الذين كانوا يتقون بإيمانهم عذاب الله عز وجل.

"﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي وتالله لقد بعثنا إلى قبيلة ثمود العربية أخاهم في النسب والقبيلة بأن اعبدوا الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فانقسموا فريقين: فريق مؤمن مصدق برسالته وبما جاء به من عند ربه عز وجل، وفريق كافر مكذب بما جاء به.

وأصبح الفريقان يتجادلان ويتنازعان في الدين، كل فريق يقول: الحق معي، وغيري على الباطل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الأعراف: ٧٥ - ٧٦"[1]

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

"لما كان الاختصام بين الفريقين في شأن صالح عليه السلام ابتداء جيء بجواب صالح عليه السلام عما تضمنه اختصامهم من محاولتهم اقحامه بطلب نزول العذاب، فمقول صالح عليه السلام هذا ليس هو ابتداء دعوته فإنه تقدم قوله: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ولكنه جواب عما تضمنه اختصامهم معه، ولذلك جاءت جملة: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ﴾

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 347 – 348)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مفصولة جرياً على طريقة المحاورة؛ لأنها حكاية جواب عما تضمنه اختصامهم، واقتصر على مراجعة صالح عليه السلام قومه في شأن غرورهم بظنهم أن تأخر العذاب أمارة على كذب الذي توعدهم به فإنهم قالوا: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأعراف: ٧٠، لأن الغرض هنا موعظة قريش في قولهم: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنفال: ٣٢، بحال ثمود المساوي لحالهم؛ ليعلموا أن عاقبة ذلك مماثلة لعاقبة ثمود لتماثل الحالين قال ﷻ: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٥، والاستفهام في قوله: ﴿ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ إنكار لأخذهم بجانب العذاب دون جانب الرحمة، فالسيئة: صفة لمحذوف، أي بالحالة السيئة، وكذلك الحسنة، فيجوز أن يكون المراد بالسيئة الحالة السيئة في معاملتهم إياه بتكذيبهم إياه، والمراد بالحسنة ضد ذلك، أي تصديقهم لما جاء به، فالاستعجال: المبادرة، والباء للملابسة، ومفعول تستعجلون محذوف تقديره: تستعجلونني متلبسين بسيئة التكذيب.

والمعنى: أنه أنكر عليهم أخذهم بطرف التكذيب إذ أعرضوا عن التدبر في دلائل صدقه، أي إن كنتم مترددين في أمري فافرضوا صدقي ثم انظروا، وهذا استنزال بهم إلى النظر بدلاً عن الإعراض، ولذلك جمع في كلامه بين السيئة والحسنة.

ويجوز أن يكون المراد بالسيئة الحالة السيئة التي يترقبون حلولها، وهي ما سألوا من تعجيل العذاب المحكي عنهم في سورة الأعراف، وبالحسنة ضد ذلك أي حالة سلامتهم من حلول العذاب فالسيئة مفعول تستعجلون والباء مزيدة لتأكيد اللصوق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مثل ما في قوله ﷻ: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ٦ ﴾ المائدة: ٦، والمعنى: إنكار جعلهم تأخير العذاب أمارة على كذب الوعيد به وأن الأولى بهم أن يجعلوا امتداد السلامة أمارة على إمهال الله ﷻ إياهم فيتقوا حلول العذاب، أي لم تبقون على التكذيب منتظرين حلول العذاب، وكان الأجدر بكم أن تبادروا بالتصديق منتظرين عدم حلول العذاب بالمرة، وعلى كلا الوجهين فجواب صالح عليه السلام إياهم جار على الأسلوب الحكيم بجعل يقينهم بكذبه محمولاً على ترددهم بين صدقه وكذبه.

وقوله: ﴿ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ حال من السيئة، وهذا تنبيه لهم على خطئهم في ظنهم أنه لو كان صالح عليه السلام صادقاً فيما توعدهم به لعجل لهم به، فما تأخيره إلا لأنه ليس بوعيد حق؛ لأن العذاب أمر عظيم لا يجوز الدخول تحت احتماله في مجاري العقول، فالقبلية في قوله: ﴿ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ مجاز في اختيار الأخذ بجانب احتمال السيئة وترجيحه على الأخذ بجانب الحسنة، فكأنهم بادروا إليها فأخذوها قبل أن يأخذوا الحسنة.

وظاهر الاستفهام أنه استفهام عن علة استعجالهم، وإنما هو استفهام عن المعلول كناية عن انتفاء ما حقه أن يكون سبباً لاستعجال العذاب، فالإنكار متوجه للاستعجال لا لعلته، ثم أعقب الإنكار المقتضي طلب التخلية عن ذلك بتحريضهم على الإقلاع عن ذلك بالتوبة وطلب المغفرة لما مضى منهم ويرجون أن يرحمهم الله ﷻ فلا يعذبهم، وإن كان ما صدر منهم موجباً لاستمرار غضب الله ﷻ عليهم، إلا أن الله ﷻ برحمته جعل التائب من الذنب كمن لم يذنب"[1]

"﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ أي قال صالح عليه السلام:

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور (19/ 278 – 280)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يا قومي، لم تطلبون أو تتعجلون نزول العقاب أو العذاب قبل أن تطلبوا من الله ﷻ رحمته أو ثوابه إن عملتم بما دعوتكم إليه وآمنتم بي، والمقصود: أن الله ﷻ مكنكم من التوصل إلى رحمة الله ﷻ وثوابه بالإيمان، فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه؟ وكان هذا جواباً لهم حينما توعدهم صالح عليه السلام بالعذاب إن لم يؤمنوا بالله ﷻ وحده، ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي هلا تطلبون من الله ﷻ المغفرة وتتوبون إليه من كفركم لكي ترحموا!! لأنه إذا نزل العذاب لم تنفعكم التوبة"[1]

لما رفض الفريق الكافر دعوة صالح عليه السلام طلبوا منع إيقاع العذاب بهم، فأنكر عليهم ذلك وقال لهم: لماذا تستعجلون وقوع العذاب بكم؟ إنكم لن تحتملوه ولن تتمكنوا من دفعه عنكم! والأولى بكم أن تطلبوا من الله ﷻ رحمته، فهلا تتوبون إلى الله ﷻ من كفركم، وتستغفرونه من ذنوبكم، إنكم إن فعلتم ذلك حصلتم على رحمة الله ﷻ.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾

قد رفض القوم نصح صالح عليه السلام لهم، وردوا عليه بغلظة وقسوة، وقالوا له: دعنا منك ومن نصحك، فقد تشاءمنا منك وممن آمن معك، فمنذ أن جئتنا بهذا الدين لم نرَ خيراً، وإنما تتابعت علينا الشدائد والمصائب، ورد عليهم صالح عليه السلام اتهامهم، وقال لهم: طائركم عند الله ﷻ وكل ما يصيبكم من خير أو شر يكون بقدر الله ﷻ، مكتوباً عنده ﷻ، وليس كما تزعمون أن ذلك بسبب ما جئتكم به، وأنتم

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 348)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعلمون هذه الحقيقة فتتشاءمون منا، مع أن الله ﷻ يمنحكم ويختبركم، فإن أطعتم أجزل لكم الثواب، وإن عصيتم ضاعف عليكم العذاب.

" ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ أي قال قومه بغلظة وشدة: لقد تشاءمنا منك وممن آمن معك ولم نرَ خيراً منكم إذ تتابعت علينا الشدائد، ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم، وكانوا لشقائهم لا يصاب أحد منهم بسوء إلا قالوا: هذا من قبل صالح عليه السلام وأصحابه. قال مجاهد: تشاءموا بهم، وهذا كما قال الله ﷻ إخباراً عن قوم فرعون: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ ﴿١٣١﴾ ﴾ الأعراف: ١٣١، وسمي التشاؤم تطيراً من عادة العرب بزجر الطير أي رميه بحجر ونحوه، فإن تحول يميناً تفاءلوا، وسموه السانح، وإن اتجه يساراً تشاءموا وسموه البارح.

﴿ قَالَ طَٰئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي قال صالح عليه السلام: شؤمكم وتفاؤلكم وما يصيبكم من شر أو خير هو قدر الله ﷻ أتاكم به، وهو مكتوب عند الله ﷻ، والله ﷻ يجازيكم على ذلك، فهو إن شاء رزقكم، وإن شاء حرمكم، وسمي القضاء والقدر طائراً لسرعة نزوله بالإنسان، وهذا كقوله ﷻ: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ ﴿٧٨﴾ ﴾ النساء: ٧٨

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ أي بل إنكم قوم تختبرون بالطاعة والمعصية، حين أرسلني الله ﷻ إليكم، فإن أطعتم أجزل الله ﷻ لكم الثواب، وإن عصيتم حل بكم العقاب"[1]

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 348 – 349)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

"﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ أي تشاءمنا، والشؤم النحس، ولا شي أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدوراً فقد جهل، ﴿ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي مصائبكم، ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ أي تمتحنون، وقيل: تعذبون بذنوبكم"[1]

﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

لم يقبل القوم الكافرون نصح صالح عليه السلام وأصروا على الكفر والتكذيب، وكان أشدهم كفراً وعداوة رجال تسعة، جعلوا مهمتهم الإفساد في مدينة الحجر التي يقيم فيها قوم ثمود، قام أحد هؤلاء التسعة بعقر الناقة بالرغم من تحذير صالح عليه السلام وبعد ذلك هددهم بأن العذاب سيقع بهم بعد ثلاثة أيام، فتآمر الرجال التسعة عليه، واتفقوا على قتله هو وأهله ليلاً، وتعاهدوا على ذلك، وحلفوا الأيمان، وفي الصباح يأتون إلى أولياء صالح عليه السلام وأتباعه، فينكرون علمهم بقتل صالح عليه السلام ومن معه، أو شهودهم لقتلهم، وسوف يصدقونهم؛ لأنهم زعماء لقومهم، ولا يناقشهم أحد في كلامهم.

"يخبر سبحانه وتعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح عليه السلام، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهموا بقتل صالح عليه السلام

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 214)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيضاً، بأن يبيتوه في أهله ليلاً فيقتلوه غيلة، ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه: إنهم ما علموا بشيء من أمره، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به من أنهم لم يشاهدوا"[1]

"لما أخبر عن عامة هذا الفريق بالشر، أخبر عن شرهم بقوله: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي مدينتهم الحجر من عظماء القرية وأعيانها ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ أي رجال، مقابلة لآيات موسى عليه السلام التسع، ولما كان الرهط بمعنى القوم والرجال، أضيفت التسعة إليه، فكأنه قيل: تسعة رجال، وإن كان لقوم ورجال مخصوصين، وهم ما بين الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، وما دون التسعة فنفر، وقال في القاموس: إن النفر ما دون العشرة غير أنه يفهم التفرق، والرهط يفهم العظمة والشدة والاجتماع ، ﴿ يُفْسِدُونَ ﴾ وقال: ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إشارة إلى عموم فسادهم ودوامه.

ولما كان الكفرة كلهم مفسدين بالكفر، وكان بعضهم ربما كان يصلح في بعض أفعاله، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك، بل هم شر محض فحقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحاً بما أفهمته صيغة المضارع: ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ولما اقتضى السياق السؤال عن بيان بعض حالهم، أجاب بقوله: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ ﴾ أمر مما منه القسم، أي أوقعوا المقاسمة والمحالفة بينكم ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ أي الذي لا سمى له لما شاع من عظمته، وشمول إحاطته في علمه وقدرته، فليقل كل منكم عن نفسه ومن معه إشارة إلى أنكم كالجسد الواحد: ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ أي صالحاً عليه السلام ﴿ وَأَهْلَهُۥ ﴾ أي لنهلكن الجميع ليلاً، فإن البيات مباغتة العدو ليلاً.

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 179)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولما كانت العادة جارية بأن المبيتين لا بد أن يبقى بعضهم، قالوا: ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ ﴾ أي المطالب بدمه إن بقي منهم أحد: ﴿ مَا شَهِدْنَا ﴾ أي حضرنا حضوراً تاماً ﴿ مَهْلِكَ ﴾ أي هلاك ﴿ أَهْلِهِۦ ﴾ أي أهل ذلك الولي فضلاً عن أن نكون باشرنا، أو أهل صالح عليه السلام فضلاً عن أن نكون شهدنا مهلك صالح عليه السلام أو باشرنا قتله ولا موضع إهلاكهم، ولما كانت الفجيعة من وليه بهلاكه عليه السلام أكثر من الفجيعة بهلاك أهله وأعظم، كان في السياق بالإسناد إلى الولي – على تقدير كون الضمير لصالح عليه السلام أتم إرشاد إلى أن التقدير: ولا مهلكه، ولما كانوا قد صمموا على هذا الأمر، وظنوا أنفسهم على المبالغة في الحلف والاجتراء على الكذب فقالو: ﴿ وَإِنَّا ﴾ أي ونقول في جملة القسم تأكيداً للقسم، إيهاماً لتحقق الصدق: وإنا ﴿ لَصَٰدِقُونَ ﴾ فيا للعجب من قوم إذا عقدوا اليمين فزعوا إلى الله سبحانه وتعالى العظيم، ثم نفروا عنه نفور الظليم، إلى أوثان أنفع منها الهشيم"[1]

"﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ أي وكان في مدينة ثمود وهي الحجر تسعة نفر أوغلوا في الفساد الذي لا أثر للصلاح فيه، فكانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح عليه السلام، وهم الذين تواطؤوا على عقر الناقة وعلى قتل صالح عليه السلام ومن آمن به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ أي قال بعضهم لبعض في المشاورة بشأن صالح عليه السلام بعد أن عقروا الناقة: احلفوا لنباغتنه وأهله الذين آمنوا معه ليلاً، فنقتلنهم، فهذا تحالف على قتل نبي الله صالح

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (14/ 176 – 178)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه السلام ليلاً قتل غيلة، ثم تحالفوا على أن يقولوا لأولياء الدم أو القصاص إذا مات: ما حضرنا هلاكهم، ولا ندري من قتلهم، وإنا لصادقون في قولنا، أي إننا لم نحضر هلاك أحد الجانبين وهو أهل صالح عليه السلام، وإن فعلوا الأمرين معاً"[1]

قال الزمخشري: "وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم"[2]

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

تآمر الرهط التسعة على صالح عليه السلام ومن معه، وكادوا لهم، ودبروا تدبيراً خفياً لقتلهم، ولكن الله سبحانه وتعالى مع أوليائه، فأبطل كيد الكافرين ومكرهم، وأوقع بهم عاقبة مكرهم، وعجل لهم العذاب، من دون أن يشعروا به، ويدعو الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وكل متدبر للقرآن إلى أن ينظر ويتأمل كيف كانت عاقبة تآمرهم وكيدهم، فقد دمر الله سبحانه وتعالى الرهط التسعة لمكرهم وكيدهم، كما دمر قومهم الكافرين جميعاً؛ لأنهم كفروا وكذبوا، ووافقوا المتآمرين على تخطيطهم ضد المؤمنين.

"لما كان هذا منهم عمل من لا يظن أن الله سبحانه وتعالى عالم به، قال سبحانه وتعالى محذراً أمثالهم عن أمثال ذلك: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا ﴾ أي ستروا ستراً عظيماً أرادوا به الشر بهذه المساومة على المقاسمة، فكان مكرهم الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفاً وفي حضرتنا معروفاً وموصوفاً، فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 349 – 350)
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 373)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أي وجزيناهم على فعلهم بما لنا من العظمة شيئاً هو المكر في الحقيقة فإنه لا يعلمه أحد من الخليقة، ولذلك قال: ﴿ وَهُمْ ﴾ أي مع اعتنائهم بالفحص عن الأمور. والتحرز من عظائم المقدور ﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما، فكيف بغيرهم، وذلك أنا جعلنا تدميرهم في تدبيرهم، فلم يقدروا على إبطاله، فأدخلناهم في خبر كان، لم يفلت منهم إنسان، وأهلكنا جميع الكفرة من قومهم في أماكنهم مساكنهم أو غير مساكنهم، وأما مكرهم فكانوا على اجتهادهم في إتقانه وإحكام شأنه، قد جوزوا فيه سلامة بعض من يقصدونه بالإهلاك، فشتان بين المكرين، وهيهات هيهات لما بين الأمرين، وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبيهة به: عدم الشعور دال على حذف عدم الإبطال من الثاني، وعلى حذف الشعور والإبطال الذي هو نتيجته من الأول.

ولما علم من هذا الإبهام تهويل الأمر، سبب عنه ﷻ زيادة في تهويله قوله: ﴿ فَانظُرْ ﴾ وزاده عظمة بالإشارة بأداة الاستفهام إلى أنه أهل لأن يسأل عنه فقال: ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ فإن ذلك سنتنا في أمثالهم، ثم استأنف لزيادة التهويل قوله بياناً لما أبهم: ﴿ أَنَّا ﴾ أي بما لنا من العظمة، ومن فتح فهو عنده بدل من عاقبة، ﴿ دَمَّرْنَاهُمْ ﴾ أي أهلكناهم، أي التسعة المتقاسمين، بعظمتنا التي لا مثل لها ﴿ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لم يفلت منهم مخبر، ولا كان في ذلك تفاوت بين مقبل ومدبر، وأين يذهب أحد منهم أو من غيرهم من قبضتنا أو يفر من مملكتنا"[1]

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (14/ 178 – 179)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي ودبروا مؤامرة وكادوا كيداً خفياً، ولكنا جازيناهم وأهلكناهم، وعجلنا لهم العقاب، دون أن يشعروا بمجيئه، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي فتأمل أيها الرسول ﷺ وكل سامع كيف كان مصير تأمرهم أنا أهلكناهم وقومهم جميعاً، ولم نبقِ أحداً منهم إلا الذين آمنوا بصالح عليه السلام"[1]

"﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

وفي هذه الآية على ما قيل دلالة على الظلم يكون سبباً لخراب الدور، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أجد في كتاب الله ﷻ أن الظلم يخرب البيوت وتلا هذه الآية، وفي التوراة ابن آدم لا تظلم يخرب بيتك، قيل وهو إشارة إلى هلاك الظالم إذ خراب بيته متعقب هلاكه، ولا يخفى أن كون الظلم بمعنى الجور والتعدي على عباد الله ﷻ سبباً لخراب البيوت مما شوهد كثيراً في هذه الأعصار، وكونه بمعنى الكفر كذلك ليس كذلك، نعم لا يبعد أن يكون على الكفرة يوم تخرب فيه بيوتهم إن شاء الله ﷻ وأنجينا الذين آمنوا صالحاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون من الكفر والمعاصي اتقاءً مستمراً فلذا خصوا بالنجاة، روي أن الذين آمنوا به عليه السلام كانوا أربعة آلاف خرج بهم صالح عليه السلام إلى حضرموت وحين دخلها مات ولذلك سميت بهذا الاسم وبنى المؤمنون بها مدينة يقال لها حاضورا"[2]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 350)
[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (10/ 209)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كانت عاقبة مكر المتآمرين تدميرهم وإهلاكهم، هم وجميع الكافرين من قوم ثمود، وأبقى الله ﷻ آثارهم من بعدهم، فتلك بيوتهم التي نحتوها في الصخرة موجودة، لكنها خالية منهم، وهي آية وعبرة وعظة لأهل العلم والمعرفة، وهم المؤمنون الذين يعرفون سنة الله ﷻ في خلقه، إذ يدمر القوم الكافرين، وينجي المؤمنين المتقين.

وفي هذه النهاية لقوم ثمود تذكير للمشركين المكذبين لرسول الله ﷺ وتحذير لهم بوقوع العذاب بهم إن استمروا على كفرهم وتكذيبهم.

"لما كانت يتسبب عن دمارهم زيادة الهول والعرب بالإشارة إلى ديارهم، لاستحضار أحوالهم، واستعظامهم بعظيم أعمالهم، قال: ﴿فَتِلْكَ﴾ أي المبعدة بالغضب على أهلها ﴿بُيُوتُهُمْ﴾ أي ثمود كلهم ﴿خَاوِيَةً﴾ أي خالية، متهدمة بالية، مع شدة أركانها، وإحكام بنيانها، فسبحان الفعال لما يريد، القادر على الضعيف كقدرته على الشديد، ولم ذكر الهلاك، أتبعه سببه في قوله: ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي أوقعوا من الأمور في غير مواقعها فعل الماشي في الظلام، كما عبدوا من الأوثان، ما يستحق الهوان، ولا يستحق شيئاً من التعظيم بوجه، معرضين عمن لا عظيم عندهم غيره عند الإقسام، والشدائد والاهتمام، وخراب البيوت وخلوّها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد مما يعاقب به الظلمة، ثم زاد في التهويل بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر الباهر للعقول الذي فعل بثمود ﴿لَآيَةً﴾ أي عظيمة، ولكنها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي لهم علم، وأما من لا ينتفع بها نادى على نفسه بأنه في عداد البهائم، ولما كان ذلك ربما أوهم أن الهلاك عم الفريقين قال: ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ بعظمتنا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أو وهم الفريق الذين كانوا مع صالح عليه السلام كلهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ أي متصفين بالتقوى اتصافاً كأنهم مجبولون عليه، فيجعلون بينهم وبين ما يسخط ربهم ﷻ وقايه من الأعمال الصالحة، والمتاجر الرابحة، وكذلك نفعل بكل من فعل فعلهم، قيل: كانوا أربعة آلاف، ذهب بهم صالح عليه السلام إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح عليه السلام، فسميت بذلك"[1]

"﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي وكان من آثار إنزال العذاب بهم أن أصبحت مساكنهم خالية بسبب ظلمهم أنفسهم، إن في هذا العقاب لعبرة وموعظة لأناس أهل معرفة وعلم، يعلمون بسنة الله ﷻ في خلقه، وبأن النتائج مرتبطة بالأسباب، فالويل كل الويل لمن كفر بالله ﷻ وكذب رسله عليهم السلام، ولم يقلع عن طغيانه وعناده وكفره.

أما المؤمنون فهم دائماً ناجون كما قال ﷻ: ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ أي ونجينا من العذاب صالحاً عليه السلام النبي ومن آمن به إذ ساروا إلى بلاد الشام ونزلوا بالرملة من فلسطين؛ لأن الإيمان واتقاء عذاب الله ﷻ بطاعته سبب دائم للنجاة من عذاب الدنيا والآخرة، والمقصود تذكير قريش والعرب وتحذيرهم بأنهم إن استمروا في كفرهم وعنادهم عذبوا كما عذب أمثالهم، وأن محمداً ﷺ والمؤمنين المصدقين برسالته ينجيهم الله ﷻ برحمة منه وفضل"[2]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. إعلام الله لنا بشيء من أنباء الغيب بإخبارنا عن قصة صالح عليه السلام وقومه.
2. ينتج عن دعوة الناس إلى الحق انقسامهم إلى فريقين: مؤمنين وكافرين.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (14/ 179 – 181)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 350 – 351)

"3. تقرير حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل.

4. حرمة التشاؤم والتيامن كذلك، ولم يجز الشارع إلا التفاؤل لا غير.

5. العمل بمعاصي الله ﷻ هو الفساد في الأرض، والعمل بطاعته هو الإصلاح في الأرض.

6. تقرير أن المشركين يؤمنون بالله ﷻ ولذا يحلفون به، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لشركهم في عبادة الله ﷻ غيره من مخلوقاته."[1]

"7. من البداهة أن ينقسم الناس بعد النبوة إلى فريقين: فريق مؤمن وفريق كافر، وليس هذا شراً، وإنما هو أثر طبيعي من آثار الرسالة النبوية، وهو حجة على الكافرين وليس ذريعة لهم في معاداة الأنبياء.

8. المخاطبون بالرسالة الإلهية هم المخطئون المقصرون بتفويت فرصة الخير على أنفسهم، لذا قال صالح عليه السلام لقوله: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب، فكانوا يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب، وهم لم يدركوا أن الإيمان سبب للرحمة، والكفر سبب للعذاب.

9. لقد استبد الجهل والعناد بقوم صالح عليه السلام فقالوا بغلظة: لقد تشاءمنا منك ومن آمن بك، والشؤم: النحس، ولا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة أي التشاؤم، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدوراً فقد جهل.

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 27)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

10. إن قادة السوء ودعاة الكفر من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، ويضاعف لهم العذاب، لذا خصص القرآن التنديد بتسعة رجال من أبناء مدينة صالح عليه السلام وهي الحجر، وكانوا عظماء المدينة، وكانوا يفسدون في الأرض ويأمرون بالفساد، ويدعون قومهم إلى الكفر والضلال، وكان قدار بن سالف الذي عقر الناقة أحد هؤلاء التسعة زعماء الاجرام، وزاد من طغيانهم أنهم عقروا الناقة، وتآمروا على قتل نبي الله صالح عليه السلام، فكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام، مع أنهم كانوا من أبناء أشرافهم"[1]

11. لا يستعجل عذاب الله عز وجل إلا جاهل؛ لأنه لا طاقة له به، والأصل أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويطلب رحمته.

12. الكفار يكرهون المؤمنين ويتشاءمون منهم، ويعتبرونهم سبب مصائبهم وشدائدهم وكربهم.

13. دعم المتنفذين للفساد نشر له بين الناس وتخريب لحياتهم.

14. القادة الكافرون متآمرون على المؤمنين، يخططون للقضاء عليهم وتدميرهم.

"15. تقرير قاعدة: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ ﴿٤٣﴾﴾ فاطر: ٤٣

16. تقرير أن ديار الظالمين مآلها الخراب فالظلم يذر الديار بلا قع.

17. تقرير أن الإيمان والتقوى هما سبب النجاة؛ لأن ولاية الله عز وجل للعبد تتم بهما."[2]

"18. إن كل مكر أو تدبير خفي أو مؤامرة دنيئة كالتآمر على قتل نبي، ذو عاقبة سيئة، فلا يحيق المكر السيء إلا بأهله، لذا كان عقاب قبيلة ثمود بسبب كفرهم

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 351 – 352)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 29)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وطغيانهم التدمير والإهلاك بصيحة جبريل عليه السلام وبإمطار الملائكة عليهم حجارة قاتلة قتلتهم.

19. بقيت آثار الدمار شاهدة على سوء أفعال ثمود، فصارت بيوتهم خالية من السكان، بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر والفساد والمعاصي، وفي ذلك عبرة للمعتبر.

20. نجى الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا بصالح عليه السلام لأنهم مؤمنون اتقوا الله سبحانه وتعالى وخافوا عذابه، قيل: آمن بصالح عليه السلام قدر أربعة آلاف رجل. وهذا أيضاً بشارة بالرحمة والنجاة لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة."[1]

21. عاقبة الكيد والمكر والتآمر تنقلب على أصحابه المتآمرين؛ لأنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

22. إبقاء آثار الكافرين الهالكين رحمة من الله بمن بعدهم؛ لتكون آية وعبرة لهم.

23. إهلاك الكافرين ونجاة المؤمنين سنة ربانية مطردة على مدار التاريخ.

❁ ❁ ❁

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 352)

لـوط عليه السلام مـع قـومـه

البصيرة السابعة

لوط عليه السلام مع قومه

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ النمل: ٥٤ ـ ٥٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واذكر لوطًا عليه السلام إذ قال لقومه: أتأتون الفعلة المتناهية في القبح، وأنتم تعلمون قبحها؟ أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم للشهوة عوضًا عن النساء؟ بل أنتم قوم تجهلون حقَّ الله سبحانه وتعالى عليكم، فخالفتم بذلك أمره، وعَصَيْتُم رسوله صلى الله عليه وسلم بفعلتكم القبيحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين، فما كان لقوم لوط عليه السلام جواب له إلا قول بعضهم لبعض: أَخْرجوا آل لوط عليه السلام من قريتكم، إنهم أناس يتنزهون عن إتيان الذكران، قالوا لهم ذلك استهزاءً بهم، فأنجينا لوطًا عليه السلام وأهله من العذاب الذي سيقع بقوم لوط عليه السلام، إلا امرأته قدَّرناها من الباقين في العذاب حتى تهلك مع الهالكين؛ لأنها كانت عونًا لقومها على أفعالهم القبيحة راضية بها، وأمطرنا عليهم من السماء حجارة مِن طين مهلكة، فقَبُحَ مطر المنذَرين، الذين قامت عليهم الحجة.

"أي: واذكر عبدنا ورسولنا لوطاً عليه السلام ونبأه الفاضل حين قال لقومه – داعياً إلى الله سبحانه وتعالى وناصحاً–: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ أي: الفعلة الشنعاء التي تستفحشها العقول والفطر وتستقبحها الشرائع ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ذلك وتعلمون قبحه فعاندتم وارتكبتم ذلك ظلماً منكم وجرأة على الله وجل جلاله، ثم فسر تلك الفاحشة فقال: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم محل الغائط والنجو والخبث، وتركتم ما خلق الله سبحانه وتعالى لكم من النساء من المحال الطيبة التي جبلت النفوس إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم الأمر فاستحسنتم القبيح واستقبحتم الحسن ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ متجاوزون لحدود الله سبحانه وتعالى متجرئون على محارمه، ﴿ فَمَا كَانَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ قبول ولا انزجار ولا تذكر وادكار، إنما كان جوابهم المعارضة والمناقضة والتوعد لنبيهم الناصح ورسولهم الأمين بالإجلاء عن وطنه والتشريد عن بلده، فما كان جواب قومه ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ فكأنه قيل: ما نقمتم منهم وما ذنبهم الذي أوجب لهم الإخراج، فقالوا: ﴿ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي: يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور، فقبحهم الله ﷻ جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به حتى وصلوا إلى إخراجه، والبلاء موكل بالمنطق فهم قالوا: أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون، ومفهوم هذا الكلام: "وأنتم متلوثون بالخبث والقذارة المقتضي لنزول العقوبة بقريتكم ونجاة من خرج منها"، ولهذا قال ﷻ: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ وذلك لما جاءته الملائكة في صورة أضياف وسمع بهم قومه فجاءوا إليه يريدونهم بالشر وأغلق الباب دونهم واشتد الأمر عليه، ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال وأنهم جاءوا لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم وأنهم يريدون إهلاكهم وأن موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلاً إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم فخرج بأهله ليلاً فنجوا وصبحهم العذاب، فقلب الله ﷻ عليهم ديارهم وجعل أعلاها أسفلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك ﷻ، ولهذا قال هنا: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ أي بئس المطر مطرهم وبئس العذاب عذابهم؛ لأنهم أنذروا وخوفوا فلم ينزجروا ولم يرتدعوا فأحل الله ﷻ بهم عقابه الشديد"[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 606 - 607

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ هذه الحلقة القصيرة من قصة لوط عليه السلام تجيء مختصرة، تبرز همّ قوم لوط عليه السلام بإخراجه؛ لأنه أنكر عليهم الفاحشة الشاذة التي كانوا يأتونها عن إجماع واتفاق وتعارف وعلانية، فاحشة الشذوذ الجنسي بإتيان الرجال، وترك النساء، على غير الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها، بل عامة الأحياء.

وهي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية، فقد يشذ أفراد، لأسباب مرضية نفسية أو لملابسات وقتية فيميل الذكور لإتيان الذكور وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود حيث لا يوجد النساء، أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء، أما أن يشيع هذا الشذوذ فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقاً في تاريخ الجماعات البشرية! لقد جعل الله سبحانه وتعالى من الفطرة ميل الجنس إلى الجنس الآخر؛ لأنه جعل الحياة كلها تقوم على قاعدة التزاوج"

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾

الواو عاطفة وتكون كلمة لوطاً معطوفة على صالحاً، ويكون المعنى ولقد أرسلنا لوطاً عليه السلام إلى قومه، وإذ متعلقة بالفعل المنوي ذكره لعطف النسق، أي أرسلنا لوطاً عليه السلام إذ قال لقومه، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي الفعلة الفاحشة البينة الزائدة عن أن تدرك في أي عقل، والحال أنكم تبصرون مدركين فحشها عالمين قبحها، والاستفهام إنكاري لإنكار الواقع، فهو توبيخ على وقوع فعلهم، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فيه إشارة إلى أن البصر يكفي لإثبات قبحه فهو قبيح حساً وطبعاً وعقلاً، إذ هو بالحس وضع للشيء في غير موضعه، واستعمال للمكان في غير ما خصص له بمقتضى الفطرة السليمة"[1]

لقد بعث الله ﷻ لوطاً عليه السلام رسولاً إلى قوم كافرين شاذين منحرفين؛ ليدعوهم إلى الإيمان بالله ﷻ وترك الانحراف والشذوذ، فبلغهم دعوة الله ﷻ، وأنكر عليهم معاصيهم وانحرافهم، وقال لهم: لماذا تأتون الذكور في أدبارهم؟ لقد كنتم السابقين إلى ارتكاب هذه الفاحشة؛ حيث لم يسبقكم إليها أحد من الناس من قبلكم. وأنكم لم تكتفوا بإتيان هذه الفاحشة، وإنما ارتكبتم جريمة أقبح وأشنع، وهي ارتكابكم الفاحشة بصورة جماعية، بحيث يرى ويبصر بعضكم بعضاً!

"واذكر أيها الرسول لقومك قصة لوط عليه السلام حين أنذر قومه نقمة الله ﷻ بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين فقال منكراً عليهم وموبخاً لهم: أتأتون الفاحشة وهي إتيان الذكور دون الإناث، مع علمكم بقبحها، واقتراف

[1] زهرة التفاسير لأبي زهرة (10/ 5465)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القبيح من العالم أشنع من غيره، أو في حال رؤية بعضكم بعضاً إذ تأتون في ناديكم المنكر"[1]

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

قد كرر عليهم لوط عليه السلام إنكاره وتوبيخه بقوله: كيف تقبلون إتيان الرجال في أدبارهم؟ وتستمتعون بذلك؟ وتتركون النساء اللواتي خلقهن الله سبحانه وتعالى لتستمتعوا بهنَّ استمتاعاً حلالاً. أنكم في الحقيقة جهلاء سفهاء، لا تعرفون شيئاً، وتجهلون الطريق الفطري لقضاء الشهوة، وتجهلون عاقبة ما تفعلونه من فواحش وقبائح.

"صرح لوط عليه السلام بما يفعلون بعد الإبهام فقال: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ هذا تكرار للتوبيخ، أي كيف تقبلون إتيان الرجال من غير النساء، فهذا شذوذ جنسي، وانتكاس للفطرة، وترك لما أحل الله سبحانه وتعالى لكم من الاستمتاع بالنساء، والحقيقة أنكم قوم جهلاء سفهاء، لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً، وتجهلون عاقبة هذا الأمر الشنيع، ولا تميزون بين الحسن والقبيح، فتفضلون العمل الشنيع على المباح لكم من النساء.

وإذا فسرت ﴿ تُبْصِرُونَ ﴾ بالعلم، ثم قال ﴿ تَجْهَلُونَ ﴾ فكيف يكونون علماء جهلاء؟ والجواب كما **ذكر الزمخشري** أنه أراد: "تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة، مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة، أو أنه أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها"[2]، أي أنهم سفهاء ماجنون.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 353 – 354)
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 374)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا نرى حملة تشنيع على منكر مثل هذه الحملة الشديدة، فقوله الرجال شذوذ يأباه الحيوان، وقوله: ﴿ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ انحراف عن الشيء الطبيعي والأفضل، وأنه خطأ بالغ وفعل قبيح، وقوله: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وصف ثابت لازم لهم بأنهم يفعلون فعال الجهلاء السفهاء الذين لا يميزون ولا يعقلون الفرق بين الحسن والقبيح، وإزاء هذه الحملة، وبالرغم من عنفها وقسوتها أجابوا عنها بما لا يصلح أن يكون جواباً مقبولاً ولا معقولاً في ميزان العقلاء"[1]

"﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الاستفهام داخل على أمر مؤكد وقوعه، فالاستفهام ليس لشك في وقوع الأمر بل لغرابة في الوقوع المؤكد، فالاستفهام بلا ريب يفيد استغراب هذا الواقع المؤكد، وهو إتيان الرجال شهوة من دون النساء، ووجه الغرابة: أولاً أنهم يجعلون الرجال في موضع النساء، وذلك فساد في الفطرة أي فساد، ووجه الغرابة ثانياً، أن الإتيان لأجل الولد، وهذا ليس موضع الحرث المنتج، ووجه الغرابة ثالثاً، أنه فاحشة في ذاته، إذ هو فساد، وقال ﷻ بعد ذلك: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

﴿ بَلْ ﴾ للإضراب الانتقالي، وكأنَّه إضراب عن بيان غرابة أفعالهم؛ لأنه لا غرابة ممن شأنه أن يجهل ولا يتحرى الصواب في أفعاله، بل إنه حائر بائر، لا يفعل إلا ما يجهل، ولذا عبر بالمضارع المصور لحال الجهل الذي لَا تصدر عنه أفعالهم إلا وهم يجهلون، وسجل ﷻ عليهم أنهم لَا يفعلون إلا ما هو مجهول عند أهل العقول السليمة، أولاً بالجملة الاسمية وبالخطاب المواجه المصور الموبخ، وبالتعبير بالمضارع

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (19/ 354)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدال على تصوير الجهل المستمر الذي يدل على أن الجهل حال دائمة لَا تنفصل عنهم، وإن الباطل ينفر من الحق، ولا يستطيع أن يواجهه، ولذا اتجهوا إلى إخراج لوط عليه السلام ومن معه من الأطهار من بينهم"[1]

"﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾

أي لقد أعلن القوم إصرارهم على تعاطيهم الفاحشة المنكرة، وأجابوا لوطاً عليه السلام بعد التشاور فيما بينهم: أخرجوا لوطاً عليه السلام وأهله ومن معه من بلدتنا، فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم، ونرتاح من وعظهم وإرشادهم، فإن البلدة بلدتنا، ولوط عليه السلام وجماعته قوم أغراب عنا.

وسبب هذا الإخراج أو الإبعاد: ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي إنهم يتحرجون من أفعالنا، ولا يقروننا على صنيعنا، وهذا صنيع الفساق في كل زمان، لا يريدون تعكير فسادهم بكلام المصلحين، ليبقوا منغمسين في الرذيلة دون منغص أو معترض.

فلما عزموا على إخراج لوط عليه السلام وأهله من بلدتهم دمر الله سبحانه وتعالى عليهم، وللكافرين الفاسقين أمثالها، وأنجى الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصالحين"[2]

لم ينفع نصح لوط عليه السلام القوم المنحرفين، ولم يقبلوا كلامه، وأصروا على شذوذهم، وخطوا خطوة أقبح، حيث أرادوا التخلص من لوط عليه السلام وآله المؤمنين، لئلا يستمر في نصحهم والإنكار عليهم، وبعدما تشاوروا فيما بينهم بشأنه قالوا: أخرجوا لوطاً عليه السلام وأهله وأتباعه المؤمنين من قريتكم، فلا مكان لهم عندكم.

---

[1] زهرة التفاسير لأبي زهرة (10/ 5465 – 5466)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 3 – 4)

وقولهم: ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡ ﴾ فيه اتهام للوط عليه السلام وآله بأنهم غريبون عنهم، دخلاء عليهم، فالبلاد بلادهم، والقرية قريتهم، وبما أن لوطاً عليه السلام ومن معه ليسوا أصلاً منهم، وإنما هم وافدون عليهم، لذلك لا مكان لهم بينهم!

وقد علل القوم المجرمون قرارهم الظالم بعلة عجيبة! السبب في إخراجهم من القرية هو أنهم أناس يتطهرون! قالوا: إن لوطاً عليه السلام وأهله المؤمنين به قوم يحرصون على الطهارة والعفة عند قضاء الشهوة، ويرفضون أفعالنا، ولا يقروننا على تصرفاتنا، ولهذا لا مكان لهم عندنا! ومنذ متى كانت العفة الجنسية والطهارة في قضاء الشهوة، والترفع عن الزنا والشذوذ جريمة يدان بها أصحابها، ويطردون من البلاد بسببها؟

"﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

الفاء: للإفصاح عن شرط مقدر، أي إذا ما كانوا على هذه الحال من سيطرة الجهل، فإن الجهل لَا يطيق الطهارة والتطهر، ولذا كان جوابهم، وإن قالوا مصرين أخرجوا آل لوط عليه السلام من مدينتكم العظيمة؛ لأنه لَا تجتمع الطهارة العفيفة مع الدناسة الجاهلة، وقد عللوا ذلك بقولهم: ﴿ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي من شأنهم الطهارة والبعد عن هذا الدنس المخالف للفطرة، والطبع السليم، وقد صور سبحانه وتعالى بما جاء على ألسنتهم يتطهرون أي أن لوطاً عليه السلام ومن معه من شأنهم الطهارة المستمرة، وعبر بفعل المضارع للدلالة على تصوير حال الطهارة المستمرة فيهم، كان عذاب الله سبحانه وتعالى لابد أن ينزل بهم لكي لَا يستمر فسادهم؛ ولأنهم يقلبون الفطرة"[1]

[1] زهرة التفاسير لأبي زهرة (10/ 5466 – 5467)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾

" أي من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءاً لهم على دينهم وعلى طريقتهم، في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط عليه السلام ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها"[1]

"﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ أي نجينا لوطاً عليه السلام ومن آمن معه برسالته من أهله، أما امرأته التي كانت راضية بأفعالهم القبيحة، ومتواطئة معهم، فتدل قومها على ضيفان لوط عليه السلام ليأتوا إليهم، فإنا حكمنا بجعلها من الباقين في العذاب؛ لأن من رضي بالمنكر وإن لم يفعله فهو مقر به، فله جزاء الفاعلين"[2]

بعد أن أصر الكافرون الشاذون على إخراج لوط عليه السلام وآله من قريتهم لطهارتهم، انتهت قصة لوط عليه السلام وحان وقوع عذاب الله سبحانه وتعالى بهم، فأنجى الله سبحانه وتعالى لوطاً وأهله المؤمنين، وأما امرأته فقد كانت كافرة، وراضية بفواحش قومها، ولذلك أبقاها الله سبحانه وتعالى مع القوم الهالكين حيث عذبت معهم.

" لقد بين سبحانه وتعالى نجاة لوط عليه السلام ومن معه إلا امرأته، فقال: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الفاء: للترتيب والتعقيب، أي أنه سبحانه وتعالى قرر هلاكهم وقرر النجاة للوط عليه السلام وآله، فكان معقباً أو مقارناً لتقرير الهلاك، وهو أقرب من التعقيب، وإليك خبر الهلاك، وطلب النجاة فقد جاء في سورة هود من مخاطبة الملائكة للوط عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 181)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 4)

بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ هود: ٨١، أنجى الله ﷻ لوطاً عليه السلام وأهله بأن أمرهم بأن يسروا من البلد ليلاً، واستثنى امرأته؛ لأنها من الغابرين من الماضين، وظاهر أن ما كان منها هو الشرك، وعدم إنكارها لأفعالهم الخبيثة، فعدم الإنكار لجريمة بشعة معلنة قد جاهروا رضا بها، فهي معهم في الشرك أو الرضا، بتلك الفاحشة الفحشاء، ولذا قال قدرناها من الغابرين، أي عددناها منهم، وبعد هلاك القرية، وجعل عاليها سافلها، أمطر عليهم ﷻ مطراً وهو حجارة حاطمة رءوسهم مهلكة"[1]

﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾

"﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗا ﴾ أي حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك ﷻ وما هي من الظالمين ببعيد ولهذا قال: ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ أي الذين قامت عليهم الحجة، ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول ﷺ وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم"[2]

"أي أنزلنا عليهم من السماء حجارة هي أشبه بالمطر في وابله وتراكمه، ولقد بين أنه أسوأ مطر ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ أي ما أسوأ مطر المنذرين الذين أنذرهم، وقد بين ﷻ في آيات أخر أنه مطر حجارة لَا مطر ماء، فقال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً

[1] زهرة التفاسير لأبي زهرة (10/ 5467)
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 181)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ هود: ٨٢ - ٨٣، هذه أقوام أشركت، وبين الله ﷻ عاقبة إشراكها، إذ همت بالاعتداء على نبيها عليه السلام، ولم يكن له قبل بها، والآيات قائمة والأدلة معلمة، وقد ذكر ﷻ بعض هذه الآيات"[1]

قد أوقع الله ﷻ بهم العذاب في الصباح، حيث جعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل أبادتهم! وبئس المطر مطر القوم المنذرين، حيث أنذرهم لوط عليه السلام العذاب، وأقام عليهم الحجة، ولكنهم رفضوا دعوته، وأصروا على فواحشهم، فاستحقوا بذلك العذاب.

"﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ أي وأنزلنا عليهم حجارة من سجيل وهو الحاصب، فأبادهم وخسف بهم الأرض، فبئس المطر مطر المنذرين بالعذاب الذين قامت عليهم الحجة، ووصلهم الإنذار الإلهي، فخالفوا الرسول عليه السلام وكذبوه، وهموا بإخراجه من قريتهم، وتلك هي عاقبة الفاسقين"[2]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. العلم بقصة لوط عليه السلام مع قومه.

2. من أقبح صور الانحراف والشذوذ ارتكاب الفواحش بصورة جماعية.

"3. اقتضت عدالة الله ﷻ ألا يعذب قوماً إلا بعد إنذار، وألا يعجل لهم العقاب إلا بعد نصح وإرشاد وإمهال. وهذا ما فعله نبي الله لوط عليه السلام مع قومه أهل سدوم، فإنه وبخهم وأنكر عليهم بشدة فعلتهم القبيحة الشنيعة التي يعلمون أنها

[1] زهرة التفاسير لأبي زهرة (10/ 5467 – 5468)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 4)

فاحشة، وذلك أعظم تجريماً وأكبر إثماً ومعصية، ويقال: إنهم كانوا يتعاطون هذه الفاحشة جهاراً نهاراً، ولا يستترون من بعضهم بعضاً، عتواً منهم وتمرداً."[1]

"4. بيان ما كان عليه قوم لوط عليه السلام من الفساد والهبوط العقلي والخلقي.

5. تحريم فاحشة اللواط وأنها أقبح شيء وأن فاعلها أحط من البهائم.

6. بيان أن الجهل بالله سبحانه وتعالى وما يجب له من الطاعة، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد. ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو تعريفهم بالله سبحانه وتعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيء للسعادة والكمال"[2]

"7. صرح لوط عليه السلام بذكر تلك الفعلة الشنيعة، وأعلنها لفرط قبحها وسوئها، ووصفهم بأنهم جاهلون أمر التحريم أو العقوبة، والآن يعلمهم بشدة الحرمة، وينذرهم بقبح العقاب وألم العذاب، لكن القوم أمعنوا في ضلالهم، وازدادوا غياً في فسقهم، وأصروا على معصيتهم، وتآمروا فيما بينهم على طرد لوط عليه السلام وأهله من قريتهم، قائلين على سبيل الاستهزاء منهم: إنهم أناس يتطهرون يتنزهون عن أدبار الرجال. فكان مقتضى الرحمة الإلهية أن ينجي الله سبحانه وتعالى لوطاً عليه السلام وأهله الذين آمنوا برسالته، وتورعوا من التدنس برجس هؤلاء العصاة الفساق، إلا امرأته التي كانت راضية بأفعال قومها القبيحة، أضحت باقية معهم في العذاب، وكان من مقتضى العدل أن يجازي الله سبحانه وتعالى هؤلاء المصرين على العصيان وارتكاب الفاحشة، والذين أنذروا بالعقاب فلم يقبلوا الإنذار، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليهم من السماء حجارة من

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 4)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 30 – 31)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سجيل منضود، مسومة عند ربك ﷻ، وما هي من الظالمين ببعيد، فأهلكوا جميعاً، وما أسوأ ذلك المصير المشؤوم!!"[1]

8. إتيان الرجال دون النساء انحراف عن الفطرة ومرض نفسي، أول ما ظهر في قوم لوط عليه السلام.

9. إنكار المنكر والنهي عنه واجب شرعي على الدعاة والمصلحين.

"10. بيان سنة أن الظلمة إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة.

11. بيان سنة أن المرء إذا أدْمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده.

12. سنة إنجاء الله ﷻ أولياءه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذَرين على الكفر والمعاصي."[2]

13. عندما تنتشر الفواحش بين الناس تكون العفة والطهارة جريمة يعاقب عليها أصحابها.

14. لا ينتفع الكافر بقرابة المؤمن؛ لأنه لا يشفع مؤمن في كافر.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 4 – 5)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 33)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من مظاهر قدرة الله ﷻ في الكون

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة الثامنة

من مظاهر قدرة الله ﷻ في الكون

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا
كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ
قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ
خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ
وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ
هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ
وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا
عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ النمل: ٥٩ - ٦٦

قل أيها الرسول ﷺ: الثناء والشكر لله ﷻ، وسلام منه، وأَمَنَةٌ على عباده الذين تخيرهم لرسالته، ثم اسأل مشركي قومك هل الله ﷻ الذي يملك النفع والضر خير أو الذي يشركون من دونه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا؟

واسألهم مَن خلق السماوات والأرض، وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبت به حدائق ذات منظر حسن؟ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لولا أن الله ﷻ أنزل عليكم الماء من السماء، إن عبادته ﷻ هي الحق، وعبادة ما سواه هي الباطل، أمعبود مع الله ﷻ فعل هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويُشرك به؟ بل هؤلاء المشركون قوم ينحرفون عن طريق الحق والإيمان، فيسوون بالله ﷻ غيره في العبادة والتعظيم.

أعبادة ما تشركون بربكم ﷻ خير أم الذي جعل لكم الأرض مستقرًا وجعل وسطها أنهارًا، وجعل لها الجبال ثوابت، وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزًا حتى لا يُفسد أحدهما الآخر؟ أمعبود مع الله ﷻ فَعَلَ ذلك حتى تشركوه معه في عبادتكم؟ بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر عظمة الله ﷻ، فهم يشركون به تقليدًا وظلمًا.

أعبادة ما تشركون بالله ﷻ خير أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض؟ أمعبود مع الله ﷻ ينعم عليكم هذه النعم؟ قليلاً ما تذكرون وتعتبرون، فلذلك أشركتم بالله ﷻ غيره في عبادته.

أعبادة ما تشركون بالله ﷻ خير أم الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فأظلمت عليكم السبل، والذي يرسل الرياح مبشرات بما يرحم به عباده مِن غيث يحيي موات الأرض؟ أمعبود مع الله ﷻ يفعل بكم شيئًا من ذلك فتدعونه من دونه؟ تنزَّه الله ﷻ وتقدَّس عما يشركون به غيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واسألهم من الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده، ومَن الذي يرزقكم من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع وغيره؟ أمعبود سوى الله ﷻ يفعل ذلك؟ قل: هاتوا حجتكم إن كنتم صادقين في زعمكم أن لله ﷻ شريكًا في ملكه وعبادته.

قل -أيها الرسول- لهم: لا يعلم أحد في السماوات ولا في الأرض ما استأثر الله ﷻ بعلمه من المغيَّبات، ولا يدرون متى هم مبعوثون مِن قبورهم عند قيام الساعة؟ بل تكامل علمهم في الآخرة، فأيقنوا بالدار الآخرة، وما فيها مِن أهوال حين عاينوها، وقد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عميت عنها بصائرهم.

"﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ أي قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكمال أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلم أيضاً على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله ﷻ من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم وتنويها بقدرهم وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم ﷻ من النقائص والعيوب.

﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله ﷻ الرب العظيم كامل الأوصاف عظيم الألطاف خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير، فالله ﷻ خير مما يشركون، ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل فقال: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ أي أمن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم ﴾ أي: لأجلكم ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ﴾ أي: بساتين ﴿ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ أي: حسن منظر من كثرة أشجارها وتنوعها وحسن ثمارها، ﴿ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ لولا منة الله ﷻ عليكم بإنزال المطر، ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ فعل هذه الأفعال حتى يعبد معه ويشرك به؟ ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ به غيره ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق.

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: هل الأصنام والأوثان الناقصة من كل وجه التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع خير؟ أم الله ﷻ الذي ﴿ جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا ﴾ يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب، ﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا ﴾ أي: جعل في خلال الأرض أنهاراً ينتفع بها العباد في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشرب مواشيهم، ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ ﴾ أي: جبالاً ترسيها وتثبتها لئلا تميد وتكون أوتاداً لها لئلا تضطرب، ﴿ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾ البحر المالح والبحر العذب ﴿ حَاجِزًا ﴾ يمنع من اختلاطهما فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما بل جعل بينهما حاجزاً من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأرض، جعل مجرى الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ فعل ذلك حتى يعدل به الله ﷻ ويشرك به معه، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيشركون بالله ﷻ تقليداً لرؤسائهم وإلا فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئاً.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله ﷻ وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله ﷻ وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أإله مع الله ﷻ يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله ﷻ شيئاً من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله ﷻ مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته،

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها اذكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما ارعويتم ولا اهتديتم.

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا دليل ولا معلم يرى ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾أي بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تؤلفه ثم تجمعه ثم تلقحه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر، ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾فعل ذلك؟ أم هو وحده الذي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره وعبدتم سواه؟ ﴿ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ تعاظم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره.

﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾أي من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض بالمطر والنبات؟ ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾يفعل ذلك ويقدر عليه؟ ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ وإلا فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله ﷻ هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات.

﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾يخبر ﷻ أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض كقوله ﷻ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ الأنعام: ٥٩،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لقمان: ٣٤، فهذه الغيوب ونحوها اختص الله ﷻ بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ثم أخبر ﷻ عن ضعف علم المكذبين بالآخرة منتقلاً من شيء إلى ما هو أبلغ منه فقال: ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾أي: وما يدرون ﴿ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾أي: متى البعث والنشور والقيام من القبور أي: فلذلك لم يستعدوا.

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾أي بل ضعف، وقل ولم يكن يقيناً، ولا علماً واصلاً إلى القلب وهذا أقل وأدنى درجة للعلم ضعفه ووهاؤه، بل ليس عندهم علم قوي ولا ضعيف وإنما ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا ﴾أي: من الآخرة، والشك زال به العلم؛ لأن العلم بجميع مراتبه لا يجامع الشك، ﴿ بَلۡ هُم مِّنۡهَا ﴾أي: من الآخرة ﴿ عَمُونَ ﴾قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال بل أنكروها واستبعدوها"[1]

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

قال الزمخشري: "أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده، وفيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 607 - 608

شبكة الألوكة - قسم الكتب

على التيمن بالذكرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع، ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله ﷻ وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن"[1]

وقال ابن عاشور: " أمر بأن يتبعه بالسلام على الرسل عليهم السلام الذين سبقوه قدراً لقدر ما تحشموه في نشر الدين الحق"[2]

"﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ فإنه يتضمن حمده بما هو من نعوت الكمال وأوصاف الجلال، والأفعال الحميدة، والأسماء الحسنى وسلامة رسله عليهم السلام من كل عيب ونقص وكذب، وذلك يتضمن سلامة ما جاءوا به من كل باطل، فقابل هذا السر في اقتران السلام على رسله عليهم السلام بحمده وتسبيحه، فهذا يشهد بكون السلام هنا من الله ﷻ"[3]

إن هذه الآية خطاب من الله ﷻ لنبيه ﷺ يقول الله ﷻ له: احمد ربك واشكره على نعمه التي لا تحصى، وسلم على الذين اصطفاهم الله ﷻ واختارهم من بين عباده الصالحين، فجعلهم أنبياءً ورسلاً، وهذا الخطاب ليس خاصاً برسول الله ﷺ بل هو يشمل الأمة من بعده، فكل مسلم مأمور بحمد الله ﷻ وشكره والصلاة والسلام على رسله عليهم السلام.

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 375)
[2] التحرير والتنوير لابن عاشور (20/ 6)
[3] تفسير القرآن الكريم لابن القيم الجوزية (1/ 421)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينكر الله ﷻ على المشركين عبادتهم لغير الله ﷻ، ويبين ضلالتهم وجهلهم في ذلك فيقول: أيهما خير؟ الله ﷻ رب العالمين أو الذي يشركون به من الأصنام؟ ولا يدل الاستفهام على الموازنة بين خير الله ﷻ وخير الشركاء المعبودين بالباطل؛ لأن الشركاء لا يقدمون خيراً أبداً، والخير كله من الله ﷻ وحده، والهدف من الاستفهام هو توبيخهم وذمهم وتهكم بهم؛ لأنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ﷻ وحده.

قال البيضاوي: "﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ أمر رسوله ﷺ بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله عليهم السلام من الآيات الكبرى والانتصار من العدا- بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكراً على ما أنعم عليهم، أو علمه ما جهل من أحوالهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين، أو لوطاً بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك،

﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم، إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير"[1]

﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾

قال القاسمي: "﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ إضراب وانتقال، من التبكيت تعريضاً، إلى التصريح به خطاباً على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد، أي: بل من خلق

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 164)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السماوات والأرض، وأودع فيهما من المنافع ما لا يحصى ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ أي بساتين ذات حسن ورونق يبهج النظار ﴿ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أإله آخر كائن مع الله ﷻ، الذي ذكر بعض أفعاله، التي لا يكاد يقدر عليها غيره، حتى يتوهم جعله شريكاً له ﷻ في العبادة؟ وهذا تبكيت لهم بنفي الألوهية عما يشركون به ﷻ، في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية، بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد"[1]

ذكرت هذه الآية دليلاً على وحدانية الله ﷻ، وهو خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء، وإنبات الزرع والأشجار به، يقول الله ﷻ للمشركين: أيهما خير؛ عبادة الأوثان والأصنام التي لا تنفع ولا تضر، أو عبادة الله ﷻ الخالق؟ إن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات السبع، وخلق الأرض الصالحة للحياة، وأنزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض، وأنبت به النبات والزروع والأشجار والثمار، وجعل البساتين الجميلة، والحدائق الحسنة البهيجة وأنتم من دون هذا الماء لا تقدرون على إنبات الأشجار والزروع. إن العبادة لا تكون إلا لله ﷻ؛ لأنه المتفرد بالخلق والرزق ﷻ، ولا يصح أن يكون مع الله ﷻ إله آخر يعبد. والمشركون مجرمون ظالمون عندما جعلوا مع الله ﷻ آلهة وساووها به، وجعلوها شركاء له.

"أي أعبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات في ارتفاعها وصفائها، وما جعل فيها من كواكب نيرة ونجوم زاهرة وأفلاك دائرة، وخلق الأرض الصالحة للحياة الهادئة، وجعل فيها الجبال والسهول، والأنهار والوديان،

[1] محاسن التأويل للقاسمي (7/ 500)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والزروع والأشجار، والثمار والبحار، والحيوانات المختلفة الأصناف والأشكال والألوان، وأنزل لأجل عباده من السماء مطراً جعله رزقاً لهم، فأنبت به بساتين ذات بهجة ونضارة، وشكل حسن ومنظر بهي، ولولاه ما حصل الإنبات، ولم تكونوا تقدرون على إنبات الأشجار والزروع، فهو المنفرد بالخلق والرزق، فهل يصح بعدئذ وجود إله مع الله ﷻ يعبد؟ بل هؤلاء المشركون قوم يميلون عن الحق إلى الباطل، وينحرفون عن جادة الصواب، فيجعلون لله ﷻ عدلاً ونظيراً."[1]

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

"هذا تدبير عجيب ولا يدرك تمام هذا الصنع العجيب إلا عند العلم بأن هذه الأرض سابحة في الهواء متحركة في كل لحظة وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها فهذا تدبير أعجب، وفيه مع ذلك رحمة ونعمة. ولولا قرارها لكان الناس عليها متزلزلين مضطربين ولكانت أشغالهم معنتة لهم"[2]

"لقد كانت الحقيقة الكونية الأولى هي حقيقة خلق السماوات والأرض، أما هذه فهي الهيئة التي خلق عليها الأرض، لقد جعلها قراراً للحياة، مستقرة مطمئنة صالحة يمكن أن توجد فيها الحياة وتنمو وتتكاثر، ولو تغير وضعها من الشمس والقمر أو تغير شكلها، أو تغير حجمها، أو تغيرت عناصرها والعناصر المحيطة في الجو بها، أو تغيرت سرعة دورتها حول نفسها، أو سرعة دورتها حول الشمس، أو سرعة دورة القمر حولها إلى آخر هذه الملابسات الكثيرة التي لا يمكن أن تتم مصادفة، وأن

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 10 – 11)
[2] التحرير والتنوير لابن عاشور (20/ 13)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تتناسق كلها هذا التناسق، لو تغير شيء من هذا كله أدنى تغيير، لما كانت الأرض قراراً صالحاً للحياة، وربما أن المخاطبين إذ ذاك لم يكونوا يدركون من قوله ﷻ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ كل هذه العجائب، ولكنهم كانوا يرون الأرض مستقراً صالحاً للحياة على وجه الإجمال ولا يملكون أن يدعوا أن أحداً من آلهتهم كان له شرك في خلق الأرض على هذا المنوال، وهذا يكفي، ثم يبقى النص بعد ذلك مفتوحاً للأجيال وكلما اتسع علم البشر أدركوا شيئاً من معناه الضخم المتجدد على توالي الأجيال، وتلك معجزة القرآن في خطابه لجميع العقول، على توالي الأزمان!"

قدمت الآية دليلاً آخر على وحدانية الله ﷻ، يقول الله ﷻ للمشركين: أيهما خير؛ عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، أو عبادة الله ﷻ الخالق الحكيم المتصرف؟ إنه الذي جعل الأرض مستقراً للإنسان والحيوان وجعل الأنهار تجري خلالها، وجعل فيها جبالاً ثابتة شامخة، ترسي الأرض وتثبتها لئلا تتحرك، وجعل حاجزاً بين الماء العذب والماء المالح، لئلا يختلطا ويمتزجا فيفسد أحدهما الآخر، إن الله ﷻ وحده هو الذي فعل هذا، فكيف جعل المشركون معه آلهة وعبدوها من دونه، مع أنها لم تفعل ذلك؟ إن أكثر المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله ﷻ، فيعبدون معه غيره، وبذلك يوقعون بأنفسهم الهلاك.

"أي أعبادة الأوثان العديمة النفع والضرر خير أم عبادة الذي جعل الأرض مستقراً للإنسان وغيره، لا تميد ولا تتحرك بأهلها، وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة لسقاية الإنسان والحيوان والنبات، وجعل فيها جبالاً ثوابت شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم، وجعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً، أي مانعاً يمنعها من الاختلاط،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لئلا يفسد هذا بذاك، لتبقى الغاية من التفرقة بينهما متحققة، فإن الماء العذب الزلال لسقي الإنسان والحيوان والنبات والثمار، والماء المالح في البحار ليكون مصدراً للأمطار، وليبقى الهواء فوقه نقياً صافياً لا يفسد بالرائحة الكريهة التي تحدث عادة في تجمعات المياه العذبة، أيوجد إله مع الله ﷻ فعل هذا وأبدع هذه الكائنات؟! بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق فيتبعونه، ولا يعرفون قدر عظمة الإله المستحق للعبادة"[1]

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

قال القرطبي: "ضمن الله ﷻ إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده ﷻ موقع وذمة، وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر"[2]

المجيب: هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف[3]، حتى ولو كان في حالة اضطراره مشركاً، فكيف إذا كان الداعي مؤمناً موحداً؟ إن الله ﷻ لا يخفى عليه شيء من أحوالنا، لكنه يحب أن يسمع دعاءنا وأن نتضرع إليه، وأن نظهر له اضطرارنا وهو الغني عنا.

قال الشوكاني: "الوجه في إجابة المضطر أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص، وقطع النظر عما سوى الله ﷻ، وقد أخبر الله ﷻ بأنه يجيب دعاء المخلصين له الدين، وإن كانوا كافرين فقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 11 – 12)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 223)
[3] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص 59

بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢، وقال: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٥، فأجابهم عند ضرورتهم، وإخلاصهم مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم.

﴿ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ أي: الذي يسوء العبد من غير تعيين، وقيل: هو الضر، وقيل: هو الجور، ﴿ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله بعد انقراضهم، والمعنى: يهلك قرناً، وينشئ آخرين، وقيل: يجعل أولادكم خلفاً منكم، وقيل: يجعل المسلمين خلفاً من الكفار، ينزلون أرضهم وديارهم، ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ الذي يوليكم هذه النعم الجسام، ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: تذكراً قليلاً ما تذكرون"[1]

"أي أتلك الآلهة الجمادات الصماء خير أم من يجيب المضطر إذا دعاه وهو الذي أحوجه المرض أو الفقر أو المحنة إلى التضرع إلى الله ﷻ، ويرفع عنه السوء أو الضرر الذي أصابه من فقر أو مرض أو خوف أو غيره، ويجعلكم ورثة من قبلكم من الأمم في سكنى الأرض والديار والتصرف فيها، فيخلف قرناً لقرن وخلفاً لسلف، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴿١٦٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٥، أيعقل وجود إله مع الله ﷻ بعد هذا؟ وهل يقدر أحد على ذلك غير

[1] فتح القدير للشوكاني (4/ 169)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله ﷻ المتفرد بهذه الأفعال؟ ولكن ما أقل تذكركم نعم الله ﷻ عليكم، ومن يرشدكم إلى الحق ويهديكم إلى الصراط المستقيم"[1]

في هذه الآية دليل آخر على وحدانية الله ﷻ، وهو من واقع حياة الناس، يقول الله ﷻ لهم: أيهما خير؛ عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع؛ أو عبادة الله ﷻ رب العالمين، الذي يجيب المضطر المحتاج عندما يلجأ إليه؟ يدعوه ويتضرع إليه، إن هذا المضطر بسبب فقر أو مرض أو كرب لم يجد إلا الله ﷻ، وإن الله ﷻ يستجيب دعوته، ويكشف عنه السوء الذي وقع به، وإن الله ﷻ وحده هو الذي يتكفل بحياة الناس، ويحفظهم ويرعاهم، ويدفع عنهم الأخطار، ويستخلفهم في الأرض، فيأتي بقرن من الناس يخلفون الذين قبلهم، يسكنون الأرض بعدهم ويرثونهم فيها، الله ﷻ وحده هو الذي يفعل هذا بالناس، فكيف جعل المشركون آلهة معه، وعبدوها من دونه؟ ما أقل تذكرهم لنعم الله ﷻ عليهم ولو تذكروها لما عبدوا مع الله ﷻ غيره.

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

"أي أتلك الآلهة التائهة خير أم من يرشدكم في أثناء الظلمات البرية أو البحرية إذا ضللتم الطريق بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، كما قال ﷻ: ﴿ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ النحل: ١٦، وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأنعام: ٩٧، ومن يرسل الرياح مبشرات أمام

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 12)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نزول الغيث الذي يحيي به الأرض بعد موتها، أيكون هناك إله مع الله ﷻ فعل هذا؟ تنزه الله ﷻ المتفرد بالألوهية المتصف بصفات الكمال عن شرك المشركين الذين يعبدون مع الله ﷻ إلهاً آخر؟!"[1]

تقدم هذه الآية دليلاً آخر على وحدانية الله ﷻ؛ مأخوذاً من حركتكم على الأرض، وانتفاعهم بما فيها، يقول الله ﷻ لهم: عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع أو عبادة الله ﷻ رب العالمين؟ وهو وحده الذي يرشدكم إلى الطريق ويهديكم سبلكم، وأنتم مسافرون في ظلمات البر والبحر، وخلق لكم من الدلائل السماوية والأرضية كالنجوم والجبال وغيرها، والله ﷻ وحده هو الذي يرسل عليكم الرياح تسبق نزول الغيث، تبشر بقرب وصوله، وبعد ذلك ينزل عليكم الغيث رحمة منه بكم، فيحيي به الأرض وينبت به الزرع، الله ﷻ وحده هو الذي يفعل هذا، فكيف جعل المشركون معه آلهة عبدوها من دونه؟ تعالى الله ﷻ وتنزه عما يشركون به ومعه؛ لأنه ليس له شريك.

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

"يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق حكمه، ويخصص ما تعلقت به مشيئته وحق فيه قوله، وسبق به قضاؤه وقدره، فإذا زال وانتفى وانعدم بعض ما يظهر ويخصص، فمن الذي يعيده مثلما بدأه؟ ومن الذي يضيق الرزق ويوسعه؟ ومن الذي يقبض في بعض الأوقات على بعض الأشخاص؟ وفي وقت آخر من الذي

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 13)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبسط على قوم آخرين؟ هل في قدرة أحد غير الله ﷻ ذلك؟ إن توهمتم شيئاً من ذلك فأوضحوا عنه حجتكم، وإذ قد عجزتم، فهلا صدقتم؟

وبالتوحيد أقررتم؟"[1]

قال الزمخشري: "كيف قيل لهم أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم منكرون للإعادة؟ قلت: قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار، فلم يبقَ لهم عذر في الإنكار من السماء الماء ومن الأرض النبات إن كنتم صادقين أن مع الله ﷻ إلهاً، فأين دليلكم عليه؟"[2]

قال البيضاوي: "﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها، ﴿ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية، ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ يفعل ذلك، ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ على أن غيره يقدر على شيء من ذلك، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية"[3]

"أي أتلك الآلهة العاجزة خير، أم الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق من غير مثال سبق، ثم يميته، ثم يعيده إلى الحياة الأولى مرة أخرى، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ البروج: ١٣، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الروم: ٢٧، وهو الذي يرزقكم بما ينزل من السماء من أمطار، وبما ينبت من بركات الأرض، أيوجد إله آخر فعل هذا مع الله ﷻ حتى يتخذ شريكاً

---

[1] لطائف الإشارات للقشيري (3/ 46 – 47)
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 377)
[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 165)

له؟ قل لهم أيها الرسول: قدموا برهانكم على صحة ما تدعون من عبادة آلهة أخرى إن كنتم صادقين في ذلك مع أنفسكم ومع غيركم، والواقع أنه لا حجة لهم ولا برهان يقبله عاقل، كما قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧"[1]

قال أبو حيان: " ناسب ختم كل استفهام بما تقدمه، لما ذكر إيجاد العالم العلوي والسفلي، وما امتن به من إنزال المطر وإنبات الحدائق، اقتضى ذلك أن لا يعبد إلا موجد العالم والممتن بما به قوام الحياة، فختم بقوله: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾، أي عن عبادته، أو يعدلون به غيره مما هو مخلوق مخترع.

ولما ذكر جعل الأرض مستقراً، وتفجير الأنهار، وإرساء الجبال، وكان ذلك تنبيهاً على تعقل ذلك والفكر فيه، ختم بقوله: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، إذ كان فيهم من يعلم ويفكر في ذلك.

ولما ذكر إجابة دعاء المضطر، وكشف السوء، واستخلافهم في الأرض، ناسب أن يستحضر الإنسان دائماً هذه المنة، فختم بقوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾، إشارة إلى توالي النسيان إذا صار في خير وزال اضطراره وكشف السوء عنه.

ولما ذكر الهداية في الظلمات، وإرسال الرياح نشراً، ومعبوداتهم لا تهدي ولا ترسل، وهم يشركون بها الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾، على سبيل التوكيد والتقرير أنه لا إله إلا هو ﷻ"[2]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 13)
[2] البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (8/ 261)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في هذه الآية دليل آخر على وحدانية الله ﷻ، مأخوذ من البداية والنهاية والرزق، يقول الله ﷻ لهم: أيهما خير؛ عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، أو عبادة الله ﷻ رب العالمين؟ إن الله ﷻ وحده هو المبدع للخلق، خلق المخلوقات كلها من غير مثال سابق، وخلق الناس وتكفل بهم، ورزقهم الرزق الكثير، رزقهم من الماء النازل من السماء، ومن الزروع والثمار الناتجة من الأرض، وهو الذي يميت الناس عندما تحين آجالهم، وهو الذي يبعثهم يوم القيامة ويعيد لهم الحياة مرة أخرى، إن الله ﷻ وحده الذي يفعل ذلك، فكيف جعل المشركون معه آلهة عبدوها من دونه؟ إنه لا إله مع الله ﷻ، وإذا كان المشركون مازالوا يؤمنون بوجود إله مع الله ﷻ، فعليهم أن يقدموا دليلاً مقنعاً وبرهاناً واضحاً، إن كانوا صادقين مع أنفسهم ومع غيرهم.

﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾

"لما أبطلت الآيات السابقة إلهية أصنام المشركين بالأدلة المتظاهرة فانقطع دابر عقيدة الإشراك ثني عنان الإبطال إلى أثر من آثار الشرك وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة وإخبار الجن، كما كان يزعمه الكهان والعرافون وسدنة الأصنام، ويؤمن بذلك المشركون"[1]

"اعلم أنه ﷻ لما بين أنه المختص بالقدرة فكذلك بين أنه هو المختص بعلم الغيب، وإذا ثبت ذلك ثبت أنه هو الإله المعبود؛ لأن الإله هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس بأهل العقاب، فإن قيل الاستثناء حكمه إخراج ما لولاه لوجب أو لصح دخوله تحت المستثنى منه ودلت الآية هاهنا على استثناء

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور (20/ 19)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله ﷻ عمن في السماوات والأرض فوجب كونه ممن في السماوات والأرض وذلك يوجب كونه ﷻ في المكان والجواب"[1]

"الغيب: ما لا يطلع عليه أحد، وليس عليه للخلق دليل، وهو الذي يستأثر بعلمه الحق، وعلوم الخلق عنه متقاصرة، ثم ما يريد الله ﷻ أن يخص قوماً بعلمه أفردهم به، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ فإنه أخفى علم الساعة عن كل أحد"[2]

" ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي قل أيها الرسول ﷺ لجميع الخلق: لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ﷻ.

فقوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ استثناء منقطع، أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ، فإنه المنفرد بذلك وحده لا شريك له، كما قال: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لقمان: ٣٤، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "من زعم أن النبي ﷺ يعلم ما يكون في غد، فقد أعظم الفرية على الله؛ لأن الله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾"[3]، ولما نفى عنهم علم الغيب على العموم، نفى عنهم علم الغيب المخصوص بوقت الساعة فصار منتفياً مرتين، فقال: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي وما يدري أهل السموات والأرض بوقت الساعة، كما قال ﷻ: ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٧

---

[1] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي (24/ 567)
[2] لطائف الإشارات للقشيري (3/ 47)
[3] السنن الكبرى للنسائي (10/ 274) حديث رقم (11468)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي ثقل علمها على أهل السموات والأرض، فلا يشعر الكفار وغيرهم في أي وقت يكون البعث للحساب والجزاء، وإنما تأتيهم الساعة فجأة"[1]

تبين هذه الآية أن الله ﷻ اختص بعلم الغيب، فالغيب المجهول المستور لا يعلمه إلا الله ﷻ، ويأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول للناس: لا يعلم أحد من المخلوقين الغيب، سواء أكانوا ملائكة في السماوات أم إنساً وجناً على الأرض. والله ﷻ وحده هو المتفرد بعلم الغيب؛ لأنه أحاط بكل شيء علماً، وهو ﷻ عالم الغيب؛ لأنه أحاط بكل شيء علماً، وهو ﷻ عالم الغيب والشهادة. والله ﷻ يطلع من يشاء من عباده على بعض أنباء الغيب، فيعلمون تلك الأنباء بعد تعليم الله ﷻ لهم، قال الله ﷻ: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧، وبعدما نفى الله ﷻ عن المخلوقين علم الغيب بصورة عامة نفى عنهم العلم بمسألة غيبية خاصة؛ هي وقت قيام الساعة، وبعث الناس أحياء من قبورهم، إن المخلوقين جميعاً لا يعلمون ولا يدرون ولا يشعرون متى تقوم الساعة ومتى يبعثون من قبورهم، ونفى الشعور بوقت قيام الساعة أبلغ من نفى العلم بها؛ لأن الشعور خفي غامض.

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾

"أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيه، قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته، وهم شاكون جاهلون، وهو قوله: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾ يريد المشركين ممن في السماوات والأرض؛ لأنهم لما كانوا في جملتهم

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 19)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نسب فعلهم إلى الجميع، كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم. فإن قلت: إن الآية سيقت لاختصاص الله ﷻ بعلم الغيب، وأن العباد لا علم لهم بشيء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به، فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة؟ لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب، ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه، وكان هذا بياناً لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم: وصل به أن عندهم عجزاً أبلغ منه، وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون- وهو وقت جزاء أعمالهم-: لا يكون، مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به. والوجه الثاني: أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم، كما تقول لأجهل الناس: ما أعلمك! على سبيل الهزؤ، وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك، فضلاً أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته"[1]

" أكد الله ﷻ جهلهم بيوم القيامة فقال: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾

أي بل انتهى علمهم بالآخرة، وعجز عن معرفة وقت حدوثها، والمراد: أن ما توصلوا إليه من أدلة إثبات الآخرة تلاشى شيئاً فشيئاً، حتى لم يعد لها قيمة ذات بال، ثم وصفهم بالحيرة في الآخرة فقال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾ أي بل الكافرون (أي جنسهم) في حيرة شديدة من تحقق الآخرة ووجودها، أي شاكون في وجودها ووقوعها، كما قال ﷻ: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ الكهف: ٤٨، أي أن لن نجعل للكافرين منكم،

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 379)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم وصفهم الله ﷻ بالتعامي عن التفكر والتدبر في أمر الآخرة، فقال: ﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ أي بل هم في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها، لا يفكرون فيها في أعماق نفوسهم، فهم عمي البصيرة لا البصر، وهذا أسوأ حالاً من الشك"[1]

قال أبو حيان: "هذه الإضرابات الثلاثة ما هي إلا تنزيل لأحوالهم، وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه، والإزالة مستطاعة، وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه، فلذلك عداه بمن دون "عن"؛ لأن العاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون"[2]

إذا كان الناس جميعاً لا يعلمون متى تقوم الساعة، سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين، فإن المؤمنين لا ينكرون قيام الساعة ومجيء يوم القيامة، بل يوقنون بذلك؛ لأن الله ﷻ أخبرهم به، وهو عالم الغيب، أما الكفار فإنهم يجعلون جهلهم بوقت قيام الساعة دليلاً على عدم قدومها، وقد أخبر الله ﷻ أنه قد تدارك علم الكفار في الآخرة، وتتابع وتلاحق، حتى نقص وتلاشى وانتهى، وبذلك قصر عن الوصول إليها، ووقف دونها لا يبلغها، وبما أن علمهم قصر عن الوصول إلى الآخرة، فإنهم لم يأخذوا أخبارها من الله ﷻ العالم بها، وإنما وقعوا في شك وحيرة، من قدوم الآخرة ووجودها، هل تأتي أم لا؟

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهلة الزحيلي (20/ 19 – 20)
[2] البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (8/ 264)

وارتقى في الآية من وصفهم بالشك من مجيء الآخرة إلى وصفهم بالعمى عنها، فقد أصاب هذا العمى قلوبهم وبصائرهم، فلا يبصرون الدلائل التي تدل عليها، ولا يدركون شيئاً من طبيعتها.

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. الله ﷻ وحده المستحق للعبادة من دون الآلهة الأخرى التي لا تملك شيئاً من خصائص الله ﷻ.

2. الدلائل الدالة على وحدانية الله ﷻ كثيرة لا تحصى مبثوثة في الكون الذي نعيش فيه.

"3. تضمنت هذه الآيات الأدلة على إثبات وجود الله ﷻ ووحدانيته وقدرته الشاملة، وتتلخص هذه الأدلة بالخلق والإيجاد، والتفرد في دفع الضرر، وجلب النفع والخير، والقدرة على الحشر والنشر.

4. إهلاك كفار الأمم الخالية جميعاً لإصرارهم على الشرك والوثنية وارتكابهم كبائر المعاصي وعظائم الفواحش، وقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ تعليم وإرشاد إلى حمد الله ﷻ على هلاك كفار الأمم الخالية الذين زرعوا الشرك والمعصية في ديارهم، مما يجب التخلص منهم، وفي هذا عبرة وعظة.

5. قوله ﷻ: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تبكيت للمشركين وتوبيخ وتهكم على حالهم وضلالهم، لإيثارهم عبادة الأصنام على عبادة الله ﷻ"[1]

"6. وجوب حمد الله ﷻ وشكره عند تجدد الشكر، والحمد لله رأس الشكر.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 14 – 15)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

7. مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام.

8. التنديد بالشرك والمشركين.

9. تقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة.

10. تقرير البعث الآخر وإثباتها بالاستنباط من الأدلة المذكورة.

11. لا يثبت الأحكام إلا بالأدلة النقلية والعقلية."[1]

12. الخير كله عند الله ﷻ وبيده، فكيف يعبد المشركون غيره، ممن لا يقدر على شيء؟

13. وجوب تقديم الأدلة اليقينية لمسائل العقيدة، وجدال الكفار بالحسنى لإقناعهم.

"14. الله ﷻ هو خالق السماوات والأرض، ومنزل المطر، ومنبت الشجر والزرع والثمر في الحدائق الغناء ذات الأنواع والأشكال والألوان المختلفة، والمناظر الجميلة الرائعة الحسن والبهاء، فيكون قطعاً هو المستحق للعبادة دون غيره؛ لأنه لا يتهيأ للبشر ولا لغيرهم ولا يتيسر لهم ولا يمكنهم أن يخلقوا شيئاً مما ذكر، فهم عجزة عن مثل ذلك.

15. الله ﷻ هو الذي جعل كرة الأرض اليابسة صالحة للحياة، بجعلها قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها، وزودها بالهواء الذي لا تمكن الحياة بدونه، وجعل فيها الأنهار للسقي، والجبال الثوابت لتمسكها وتمنعها من الحركة، وجعل بين البحرين: العذب والمالح مانعاً من قدرته، لئلا يختلط الأجاج بالعذب.

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 36)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غير الله ﷻ، فلم يعبد المشركون ما لا يضر ولا ينفع؟ ولكن أكثرهم يجهلون الله ﷻ، فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية."[1]

"16. حصر علم الغيب في الرب ﷻ، فمن ادعى أنه يعلم ما في غد فقد كذب.

17. تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت الساعة.

18. المكذبون بيوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك."[2]

19. يسر الدليل القرآني لمسائل العقيدة وبساطته؛ لأنه مأخوذ من الواقع الذي يشهده الناس ويعرفونه.

20. مطالبة المخالفين تقديم البرهان والدليل على صحة ما عندهم، وإن يقدموه ظهر بطلان ما هم عليه.

21. يعلمنا الله ﷻ كيف نواجه المشركين بالحجة والبرهان.

"22. الله ﷻ وحده مصدر الرحمة الذي يدفع الضرر، فيجيب دعاء المضطر (وهو ذو الضرورة المجهود) ويكشف السوء (الضر) ويجعل الناس خلفاء الأرض أي سكانها جيلاً بعد جيل، فيموت قوم وينشئ الله ﷻ آخرين، أمع الله ﷻ ويلكم أيها الناس إله؟ ولكنكم تتذكرون تذكراً قليلاً نعم الله ﷻ عليكم، والمراد نفي التذكر، والقلة تستعمل في معنى النفي.

23. الله ﷻ وحده مصدر الخير والنفع، فهو الذي يرشد الطريق في ظلمات البر والبحر حال السفر إلى البلاد البعيدة، وهو الذي يرسل الرياح مبشرات قدام المطر، فهل يوجد إله مع الله ﷻ يفعل ذلك ويعينه عليه؟ تنزه الله ﷻ عما يشرك به المشركون من دونه.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 15)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 39)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

24. الله ﷻ الذي يقر المشركون أنه الخالق الرازق هو الذي يعيد الخلق يوم القيامة إلى الحياة الجديدة؛ لأن من قدر على ابتداء الخلق فهو قادر حتماً على الإعادة، وهو أهون عليه، أيوجد إله مع الله ﷻ يخلق ويرزق ويبدئ الخلق ويعيده؟ فيا أيها المشركون مع الله ﷻ إلها آخر، قدموا حجتكم أن لي شريكاً، أو حجتكم في أنه صنع أحد شيئاً من هذه الأشياء غير الله ﷻ، إن كنتم صادقين مع أنفسكم في ادعاء أن له شريكاً."[1]

"25. أرشدت الآيات إلى أنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله ﷻ، فذلك مما اختص الله ﷻ به، فيكون هو الإله المستحق للعبادة.

26. دلت على أن الكفار وغيرهم لا يشعرون بوقت القيامة حتى تأتيهم فجأة، وعلى أن علمهم بأدلة إثباتها معدوم، فهم جهلة بها ولا علم لهم فيها، وهم أيضاً في شك منها في الدنيا وفي حيرة شديدة من شأن وجودها، وقلوبهم عمياء عن إدراكها وعما يوصل إلى الحق في شأنها."[2]

27. على العباد أن يؤمنوا بعلم الغيب الصادق الذي صح عن الله ﷻ وعن رسله عليهم السلام، ومنه العلم باليوم الآخر.

28. علم البشر محدود قليل مهما أوتوا من علم، والعلم الكامل الشامل إنما هو لله ﷻ.

29. الكفار ينكرون وجود ما لم يعلموه ويشاهدوه وهذا من جهلهم وسوء نظرهم.

❁ ❁ ❁

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 16 - 17)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 20)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موقف المشركين من البعث

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة التاسعة

موقف المشركين من البعث

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ النمل: ٦٧ - ٧٥

وقال الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ: أنحن وآباؤنا مبعوثون أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن صرنا ترابًا؟ لقد وُعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا مِن قبل، فلم نرَ لذلك حقيقة ولم نؤمن به، ما هذا الوعد إلا مما سطَّره الأولون من الأكاذيب في كتبهم وافتروه، قل -أيها الرسول ﷺ- لهؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض، فانظروا إلى ديار مَن كان قبلكم من المجرمين، كيف كان عاقبة المكذبين للرسل عليهم السلام؟ أهلكهم الله ﷻ بتكذيبهم، والله ﷻ فاعل بكم مثلهم إن لم تؤمنوا، ولا تحزن على إعراض المشركين عنك وتكذيبهم لك، ولا يَضِقْ صدرك مِن مكرهم بك، فإن الله ﷻ ناصرك عليهم، ويقول مشركو قومك -أيها الرسول ﷺ-: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تَعِدُنا به أنت وأتباعك إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟ قل لهم -أيها الرسول ﷺ-: عسى أن يكون قد اقترب لكم بعض الذي تستعجلون من عذاب الله ﷻ، وإنَّ ربك ﷻ لذو فضل على الناس؛ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به، ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك، فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة، وإن ربك ﷻ لَيعلم ما تخفيه صدور خلقه وما يظهرونه، وما مِن شيء غائب عن أبصار الخلق في السماء والأرض إلا في كتاب واضح عند الله ﷻ، قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان وما يكون.

"﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ أي هذا بعيد غير ممكن قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة، ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا ﴾ أي البعث ﴿ نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي فلم يجئنا ولا رأينا منه شيئاً، ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي قصصهم وأخبارهم التي تقطع بها الأوقات وليس لها أصل ولا صدق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيها، فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة ثم الإخبار بضعف علمهم فيها ثم الإخبار بأنه شك ثم الإخبار بأنه عمى ثم الإخبار بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه، أي وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من قلوبهم فأقدموا على معاصي الله ﷻ وسهل عليهم تكذيب الحق والتصديق بالباطل واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات فخسروا دنياهم وأخراهم، ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل عليهم السلام فقال: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فلا تحدون مجرماً قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شر عاقبة وقد أحل الله ﷻ به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

أي لا تحزن يا محمد ﷺ على هؤلاء المكذبين وعدم إيمانهم، فإنك لو علمت ما فيهم من الشر وأنهم لا يصلحون للخير، لم تأس ولم تحزن، ولا يضق صدرك ولا تقلق نفسك بمكرهم فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم، {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} ويقول المكذبون بالمعاد وبالحق الذي جاء به الرسول ﷺ مستعجلين للعذاب: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم فإن وقوعه ووقته قد أجله الله ﷻ بأجله وقدره بقدر، فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم، ولكن -مع هذا- قال ﷻ محذراً لهم وقوع ما استعجلوه: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾ أي قرب منكم وأوشك أن يقع بكم ﴿ بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ من العذاب، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ ينبه عباده على سعة جوده وكثرة أفضاله ويحثهم على شكرها، ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر واشتغلوا بالنعم عن المنعم، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾أي تنطوي عليه ﴿ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ فليحذروا من عالم السرائر والظواهر وليراقبوه، ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي خفية وسر من أسرار العالم العلوي والسفلي ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فكل حادث يحدث جلي أو خفي إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ"[1]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

"هذه كانت العقدة التي يقف أمامها الذين كفروا دائماً: أإذا فارقتنا الحياة، ورمت أجسادنا وتناثرت في القبور، وصارت تراباً، أإذا وقع هذا كله- وهو يقع للموتى بعد فترة من دفنهم إلا في حالات نادرة شاذة- أإذا وقع هذا لنا ولآبائنا الذين ماتوا قبلنا يمكن أن نبعث أحياء كرة أخرى، وأن تخرج من الأرض التي اختلط رفاتنا بترابها فصار ترابا؟

يقولون هذا وتقف هذه الصورة المادية بينهم وبين تصور الحياة الأخرى، وينسون أنهم خلقوا أول مرة ولم يكونوا من قبل شيئاً، ولا يدري أحد أين كانت الخلايا والذرات التي تكونت منها هياكلهم الأولى، فلقد كانت مفرقة في أطواء الأرض

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 608 - 609

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعماق البحار وأجواز الفضاء، فمنها ما جاء من تربة الأرض، ومنها ما جاء من عناصر الهواء والماء، ومنها ما قدم من الشمس البعيدة، ومنها ما تنفسه إنسان أو نبات أو حيوان، ومنها ما انبعث من جسد رمّ وتبخرت بعض عناصره في الهواء! ثمّ تمثلت هذه الخلايا والذرات في طعام يأكلونه، وشراب يشربونه، وهواء يتنفسونه، وشعاع يستدفئون به، ثم إذا هذا الشتيت الذي لا يعلم عدده إلا الله ﷻ، ولا يحصي مصادره إلا الله ﷻ، يتجمع في هيكل إنسان وهو ينمو من بويضة عالقة في رحم، حتى يصير جسداً مسجى في كفن، فهؤلاء في خلقتهم أول مرة، فهل عجب أن يكونوا كذلك أو على نحو آخر في المرة الآخرة! ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فهم كانوا يعرفون أن الرسل عليهم السلام من قبل قد أنذروا آباءهم بالبعث والنشور، مما يدل على أن العرب لم تكن أذهانهم خالية من العقيدة، ولا غفلاً من معانيها، إنما كانوا يرون أن الوعود لم تتحقق منذ بعيد فيبنون على هذا استهتارهم بالوعد الجديد قائلين: إنها أساطير الأولين يرويها محمد ﷺ غافلين أن للساعة موعدها الذي لا يتقدم لاستعجال البشر ولا يتأخر لرجائهم، إنما يجيء في الوقت المعلوم لله ﷻ، المجهول للعباد في السماوات والأرض سواء"

"﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ أي وقال المشركون منكرو البعث، الذين كفروا بالله ﷻ وكذبوا رسله عليهم السلام: أنخرج من قبورنا أحياء، بعد مماتنا، وبعد أن بليت أجسادنا وصارت تراباً؟ فهذا حكاية لاستبعادهم إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاماً ورفاتاً وتراباً، ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن

﴿ قَبْلُ ﴾ أي ما زلنا نسمع كثيراً بهذا نحن وآباؤنا، ولا نلمس له حقيقة ولا وقوعاً ولم نرَ قيام أحد بعد موته، والمراد أن هذا تاريخ غابر محكي، أكل عليه الدهر وشرب.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي ما هذا الوعد بإعادة الأبدان إلا أسطورة، أي خرافة وأكذوبة، يتناقلها الناس عن بعضهم، وليس لها حقيقة، ولم يقم عليها دليل مقبول"[1]

الكفار لا علم لهم بالآخرة، وهم شاكون فيها، وعمي عن الدلائل التي تدل عليها، ولذلك أنكروا مجيئها، واستبعدوا العودة للحياة بعد الموت، ويعدون الوعد بهذا أسطورة كاذبة، قال الكفار المنكرون للآخرة: لقد مات آباؤنا وصاروا تراباً ونحن سنموت ونصير تراباً، فهل ستعاد إلينا الحياة يوم البعث؟ وهل سنخرج أحياء من قبورنا؟ أم هذا لن يكون؟ وقد سمعنا هذا الوعد كثيراً كما سمعه آباؤنا من قبلنا كثيراً، ولكنه لم يتحقق، فلم نرَ أحداً قام حياً بعد موته، فهذا الوعد بالعودة إلى الحياة أكذوبة وخرافة من أساطير السابقين يتناقلها الناس من بعدهم.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

"وفي هذا التوجيه توسيع لآفاق تفكيرهم، فالجيل من البشر ليس مقطوعاً من شجرة البشرية وهو محكوم بالسنن المتحكمة فيها وما حدث للمجرمين من قبل يحدث للمجرمين من بعد فإن السنن لا تحيد ولا تحابي، والسير في الأرض يطلع النفوس على مثل وسير وأحوال فيها عبرة، وفيها تفتيح لنوافذ مضيئة، وفيها لمسات للقلوب قد توقظها وتحييها، والقرآن يوجه الناس إلى البحث عن السنن المطردة، وتدبر خطواتها وحلقاتها، ليعيشوا حياة متصلة الأوشاج متسعة الآفاق، غير متحجرة ولا

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 23 – 24)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مغلقة ولا ضيقة ولا منقطعة، وبعد أن يوجههم هذا التوجيه يأمر رسوله ﷺ أن ينفض يديه من أمرهم، ويدعهم لمصيرهم، الذي وجههم إلى نظائره، وألا يضيق صدره بمكرهم، فإنهم لن يضروه شيئاً، وألا يحزن عليهم فقد أدى واجبه تجاههم وأبلغهم وبصرهم"

بما أن الكافرين كذبوا بالبعث فهم مجرمون وقد كان قبلهم مجرمون مكذبون، فأهلكهم الله ﷻ، وهنا يدعوهم الله ﷻ إلى أن يتعظوا بما جرى للذين من قبلهم فيأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم: سيروا في أرض الحجاز واليمن والشام وغيرها، وتعرفوا على مصير من سبقكم من المكذبين، وانظروا كيف كانت عاقبة كفرهم وإجرامهم، ألم يدمرهم الله ﷻ؟ وإن لم تتخلوا عن التكذيب فسيصيبكم ما أصابهم.

قال ابن عطية: "وعظهم ﷻ بحال من كذب من الأمم فأمر نبيه ﷺ أن يأمرهم بالسير والتطلع على حال مجرمي الأمم وبالحذر أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، وهذا التحذير يقتضيه المعنى"[2]

"ثم أرشدهم الله ﷻ إلى الصواب في ذلك وعما ظنوا من الكفر وعدم المعاد بصيغة الوعيد والتهديد، فقال: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي قل لهم أيها الرسول ﷺ: سيروا في أرض الحجاز والشام واليمن وغيرها، فانظروا مصير من سبقكم من المكذبين، إنهم اغتروا بدنياهم، وفتنوا بزخارفها، وكذبوا رسلهم عليهم السلام، وأنكروا وجود البعث، فأهلكهم الله ﷻ بذنوبهم، وبقيت ديارهم آثاراً شاهدة عليهم للعبرة والعظة، ونجى الله ﷻ رسله عليهم السلام ومن

---

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 269)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل عليهم السلام وصحته من الإيمان بالله ﷻ وبالبعث، وتلك سنة الله ﷻ في كل من كذب رسله عليهم السلام، وسيعاقبكم بمثل عقابهم إن لم تبادروا إلى الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر"[1]

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

"آنس الله ﷻ نبيه ﷺ عن إعراضهم عن قوله ورسالته فقال: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي ولا تحزن يا محمد ﷺ على إعراض هؤلاء المكذبين عن رسالتك، ولا تكن ضيق الصدر حزيناً مكروباً مهموماً من كيدهم وتآمرهم عليك، فإن الله ﷻ مؤيدك وناصرك وعاصمك من الناس، ومظهر دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب"[2]

"وهذا النص يصور حساسية قلبه ﷺ وحزنه على مصير قومه الذي يعلمه من مصائر المكذبين قبلهم، ويدل كذلك على شدة مكرهم به وبالدعوة وبالمسلمين حتى ليضيق صدره الرحب الكبير"

قال ابن عاشور: " كانت الرحمة غالبة على النبي ﷺ والشفقة على الأمة من خلاله، فلما أنذر المكذبون بهذا الوعيد تحركت الشفقة في نفس الرسول ﷺ فربط الله ﷻ على قلبه بهذا التشجيع ألا يحزن عليهم إذا أصابهم ما أنذروا به، وكان من

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 24)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 24)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رحمته ﷺ حرصه على إقلاعهم عما هم عليه من تكذيبه والمكر به، فألقى الله ﷻ في روعه رباطة جاش بقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون"[1]

إن استجاب الكفار للدعوة واعتبروا بما جرى لمن قبلهم وآمنوا فهذا خير لهم، وإن رفضوا ذلك واستمروا على كفرهم وتكذيبهم، فعلى رسول الله ﷺ ألا يحزن عليهم لكفرهم ولخسارتهم، فلقد نصحهم ولكنهم رفضوا النصيحة فاستحقوا العذاب، كما أن عليه ألا يضيق صدره بمكرهم وكيدهم وتآمرهم عليه، فإنهم لا يضرونه شيئاً وإن الله ﷻ معه ينصره ويؤيده.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

"ثم حكى الله ﷻ إنكاراً آخر من الكفار غير الساعة، وهو إنكار عذاب الله ﷻ، فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي يقول هؤلاء المشركون في مكة وغيرهم في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك: متى وقت هذا العذاب الذي تعدنا به، إن كنتم أيها الرسول والمؤمنون به صادقين في ادعائكم وقولكم؟ يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء"[2]

"كانوا يقولون هذا كلما خوفوا بمصائر المجرمين قبلهم، ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين كقرى لوط عليه السلام، وآثار ثمود في الحجر، وآثار عاد في الأحقاف، ومساكن سبأ بعد سيل العرم، كانوا يقولون مستهزئين: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به؟ إن كنتم صادقين فهاتوه، أو خبرونا بموعده على التحديد!"

---

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور (20/ 26)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 24)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان رسول الله ﷺ يهدد المشركين بالعذاب في الدنيا وفي الآخرة، إن استمروا على كفرهم وتكذيبهم، ويدعوهم إلى السير في الأرض لمشاهدة آثار المعذبين السابقين ليعتبروا ويتعظوا بما أصابهم، ولكنهم استقبلوا هذا التهديد بالاستخفاف، وأخذوا يسألون عن موعد قدومه سؤال استبعاد واستهانة ويقولون للمؤمنين: أنتم تهددوننا بوقوع العذاب بنا، وقد انتظرناه فلم يقع، فأخبرونا متى موعد قدومه إلينا، إن كنتم صادقين في دعواكم أن العذاب قادم، ومن استخفافهم بالعذاب أنهم كانوا يطلبون من الله إيقاعه بهم.

﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

"بذلك يثير في قلوبهم الخوف والقلق من شبح العذاب، فقد يكون وراءهم- رديفاً لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة- وهم لا يشعرون، وهم في غفلتهم يستعجلون به وهو خلف رديف! فيالها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال، وهم يستهزئون ويستهترون! ومن يدري، إن الغيب لمحجوب، وإن الستار لمسبل، فما يدري أحد ما وراءه، وقد يكون على قيد خطوات ما يذهل وما يهول! إنما العاقل من يحذر، ومن يتهيأ ويستعد في كل لحظة لما وراء الستر المسدول!"

"﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي قل لهم يا محمد ﷺ: عسى أن يكون ردفكم أي لحقكم وتبعكم واقترب منكم بعض ما تستعجلون وقوعه من العذاب، وهو القتل والعذاب والنكال يوم بدر، فقوله: ردف لكم أي ردفكم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واللام زائدة، **وقال ابن كثير**: "وإنما دخلت اللام في قوله: ردف لكم لأنه ضمن معنى: عجل لكم"[1][2]

قال الزمخشري: "عسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده، وما لا مجال للشك بعده، وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم، وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم، وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم، فعلى ذلك جرى وعد الله ﷻ ووعيده"[3]

جاء الرد على طلبهم العذاب مخيفاً، والتهديد مرعباً، فيأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول: أنتم تستعجلون العذاب فانتظروه؛ لعله قادم إليكم عن قريب، وعسى أن يكون لحقكم وتبعكم واقترب منكم، وأنتم لا تشعرون به.

وهذا فيه من الرعب والخوف والهول ما فيه؛ لأنه يجعل العذاب وراءهم رديفاً لهم، كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة، تحملهما معاً!! فالعذاب رديفهم قريب منهم وهم لا يشعرون به، ويستعجلون وقوعه، وقد وقع بهم ذلك العذاب في الدنيا يوم بدر، حيث هزمهم الله ﷻ وقتل زعماءهم.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

لماذا يؤخر الله ﷻ العذاب عن الكفار مع أنهم يطلبونه ويستعجلونه؟ يؤخره تفضلاً منه عليهم، ويؤخر العقوبة عن الكافرين والمذنبين منهم، ومع ذلك الفضل والإنعام من الله ﷻ، إلا أن أكثر الناس لا يشكرونه على فضله س، وإنما يقابلون إنعامه بالجحود، ولا يشكره إلا المؤمنون الصالحون، وهم قليل!

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 189)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 25)
[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 381)

"إن فضله ليتجلى في إمهالهم وتأخير العذاب عنهم وهم مذنبون أو مقصرون، عسى أن يتوبوا إليه ويثوبوا إلى الطريق المستقيم، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ على هذا الفضل، إنما يستهزئون ويستعجلون، أو يسدرون في غيهم ولا يتدبرون"

"﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ أي وإن الله ﷻ لهو المنعم المتفضل على الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم حيث يسبغ إنعامه عليهم في الدنيا، مع ظلمهم لأنفسهم، ويترك معاجلتهم بالعقوبة على كفرهم ومعاصيهم، ولكنهم مع ذلك كله لا يشكره أكثرهم على فضله، ولا يشكره إلا القليل منهم"[2]

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾

"أي وإن ربك ﷻ ليعلم الضمائر والسرائر، كما يعلم الظواهر، كما قال: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾ الرعد: ١٠، وقال: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ﴾ طه: ٧، والمراد أنه ﷻ عالم بمكائد المشركين للرسول ﷺ، وسيجازيهم على ذلك"[3]

قال الألوسي: "في الآية إيذان بأن لهم قبائح غير ما حكي عنهم، وتقديم الاكتنان ليظهر المراد من استواء الخفي والظاهر في علمه ﷻ، أو لأن مضمرات الصدور سبب لما يظهر على الجوارح، وإلى الرمز إلى فساد صدورهم التي هي المبدأ لسائر أفعالهم"[4]

---

[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 25)
[3] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 25)
[4] روح المعاني للألوسي (10/ 228)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"هو يمهلهم ويؤخر العذاب عنهم، مع علمه بما تكنه صدورهم وما تعلنه ألسنتهم وأفعالهم، فهو الإمهال عن علم، والإمهال عن فضل، وهم بعد ذلك محاسبون عما تكن صدورهم وما يعلنون"

في هذه الآية تهديد أيضاً للكفار المستعجلين للعذاب، فالله لم يتركهم ويهملهم عندما أخر العذاب عنهم، فهو يعلم كل ما يقولونه ويفعلونه، وما يخفونه ويظهرونه، ويسجله عليهم، وسيحاسبهم عليه يوم القيامة، وإن الله يعلم كل شيء، ويعلم كل ما عند الناس، ما يظهرونه ويعلنونه من الأقوال والأفعال، وما يسرونه ويخفونه، وما في القلوب والضمائر والسرائر، كل ذلك يعلمه الله من أصحابه، ويحصيه عليهم، ثم يحاسبهم عليه، وإن شعور المؤمن بهذه الحقيقة يدعوه إلى أن يحرص على طاعة الله، والابتعاد عما حرم الله، وتنظيف قلبه وضميره من الخواطر السيئة والأفكار الباطلة.

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

"يختم هذه الجولة بتقرير علم الله ﷻ الشامل الكامل، الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ويجول الفكر والخيال في السماء والأرض، وراء كل غائبة، من شيء، ومن سر، ومن قوة، ومن خبر، وهي مقيدة بعلم الله ﷻ، لا تند منها شاردة، ولا تغيب منها غائبة، والتركيز في السورة كلها على العلم، والإشارات إليه كثيرة، وهذه واحدة منها تختم بها هذه الجولة"

ينتقل النص من بيان علم الله ﷻ بما يخفيه الناس في صدورهم وما يعلنونه إلى بيان شمول علم الله ﷻ كل شيء في السماوات والأرض؛ لأنه ﷻ أحاط بكل شيء علماً، إنه ما من شيء غائب مخفي في السماوات والأرض إلا وهو معلوم عند الله ﷻ، موجود محفوظ في اللوح المحفوظ، الذي أثبت الله ﷻ فيه كل ما سيكون إلى يوم القيامة، ويجول خيال المؤمن في الأرض والسماء، وراء كل غائبة من شيء أو سر أو خبر، فإذا بها مقيدة في علم الله ﷻ، لا يغيب منها شيء.

"أبان الله ﷻ حقيقة شاخصة عامة وهي أن كل ما في الكون محفوظ في اللوح المحفوظ، فقال: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ أي وما من شيء غائب مخفي في السموات والأرضين إلا وهو موجود معلوم محفوظ في اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه الله ﷻ كل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فهو ﷻ عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه، وعالم غيب السموات والأرض من أمر الخلائق قاطبة"[1]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. الكفار يكذبون بالآيات التي تتحدث عن الآخرة، ويعدونها من أساطير الأولين
2. السير في الأرض ورؤية آثار السابقين يقود إلى العبرة والعظة.
3. إهلاك المكذبين المجرمين سنة ربانية مطردة.
4. على المؤمن الداعية ألا يحزن بعد دعوة الكفار، وألا يخشاهم؛ لأنه في رعاية الله ﷻ.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 25 – 26)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"5. تكرر في القرآن الكريم حكاية إنكار المشركين البعث، فهم يعدونه من خرافات الأقدمين المتوارثة، وكانت الأنبياء عليهم السلام يقربون أمر البعث مبالغة في التحذير، وكل ما هو آت قريب.

6. وبما أن واقعة البعث أمر غيبي يحدث في المستقبل، فإن الله ﷻ أجاب المنكرين له بالنظر في مصير المكذبين لرسلهم عليهم السلام، المنكرين وقوع البعث، نظرة تأمل في القلوب والبصائر في بلاد الشام والحجاز واليمن وغيرها، هل دام لهم العز والسلطان، أم دمر الله ﷻ ديارهم بسبب كفرهم؟

7. كانت درجة إحساس النبي ﷺ عالية جداً، ومرهفة إرهافاً مفرطاً، فتألم وحزن لإعراض قومه عنه، فسرى عنه القرآن همومه، ونهاه عن حمل الهموم والأحزان على كفار مكة إن لم يؤمنوا، كما نهاه عن الضيق أي الحرج من مكرهم وتدبيرهم وقولهم: متى أو أي وقت يجيئنا العذاب بتكذيبنا؟

8. أجابهم الحق ﷻ عن استبطاء نزول العذاب بالترهيب مرة وبالترغيب مرة أخرى، فأنذرهم بأن بعض عذابهم قد اقترب منهم ودنا من ساحتهم، وذلك في أول لقاء عسكري فاصل بينهم وبين المؤمنين في موقعة بدر، فيقتل رؤساؤهم ويؤسر أشرافهم، ورغبهم بالتوبة والإيمان، وذكرهم بفضله ﷻ على الناس في تأخير العقوبة وإدرار الرزق، ولكن أكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه.

9. وأبان لهم أن مصير خططهم ومؤامراتهم إلى الخيبة والفشل، فإن الله ﷻ يعلم ما تخفي صدورهم وما يظهرون من الأمور، فيحبط مشاريعهم، كما أنه تعالى يعلم جميع ما أخفى عن خلقه وغيبه عنهم، وهذا عام بعد خاص، وقد أثبت ﷻ في اللوح المحفوظ ما أراد، ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته، فكيف يخفى عليه ما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يسر هؤلاء وما يعلنونه؟! وإذا كان الله ﷻ عليماً بكل نشاطاتهم المشبوهة وتحركاتهم المريبة، فيستحيل وقوع ما يريدون من إيذاء النبي ﷺ أو النيل من رسالته، أو تحقيق الظفر على المسلمين"[1]

"10. المكذبون بيوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك.

11. إهلاك الله ﷻ الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم دليل على قدرته ﷻ على بعثهم لحسابهم وجزائهم."[2]

12. لا يستعجل عذاب الله ﷻ إلا جاهل أحمق، أما العاقل فإنه يسأل الله ﷻ رفع العذاب.

13. الكفار يستخفون بالعذاب ويستهينون به، وهذا ليس من مصلحتهم.

14. قد يكون العذاب قريباً من الإنسان وهو لا يشعر.

15. الكافر يقابل فضل الله ﷻ وإنعامه بالجحود، والمؤمن يقابل ذلك بالشكر.

16. شعور المؤمن بأن الله ﷻ يعلم ما يخفيه وما يعلنه يدعوه للإقبال على الطاعات والابتعاد عن المحرمات.

17. سعة علم الله ﷻ وإحاطته بكل شيء.

"18. تسلية الرسول ﷺ؛ لأنه يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم.

19. بيان تعنت المشركين وعنادهم.

20. تحقق وعد الله ﷻ للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون.

21. بيان فضل الله ﷻ على الناس مع ترك أكثرهم لشكره ﷻ.

22. بيان إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 26 – 27)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 39)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

23. إثبات وتقرير كتاب المقادير، وهو اللوح المحفوظ."[1]

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 41)

مهام القرآن
ومهمة الرسول ﷺ وحدود تأثيره في الناس

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة العاشرة

مهام القرآن ومهمة الرسول ﷺ وحدود تأثيره في الناس

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ النمل: ٧٦ - ٨١

إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وإن هذا القرآن لهداية من الضلال ورحمة من العذاب، لمن صدَّق به واهتدى بهداه، إن ربك ﷻ يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل، ويجازي المحسن وهو العزيز الغالب، فلا يُرَدُّ قضاؤه، العليم، فلا يلتبس عليه حق بباطل، فاعتمد – أيها الرسول ﷺ – في كل أمورك على الله ﷻ، وثق به؛ فإنه كافيك، إنك على الحق الواضح الذي لا شك فيه، إنك – أيها الرسول ﷺ – لا تقدر أن تُسمع الحق مَن طبع الله ﷻ على قلبه فأماته، ولا تُسمع دعوتك مَن أصمَّ الله ﷻ سمعه عن سماع الحق عند إدبارهم معرضين عنك، فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلاً، فكيف إذا كان معرضًا عنه موليًا مدبرًا؟ وما أنت – أيها الرسول ﷺ – بهادٍ عن الضلالة مَن أعماه الله ﷻ عن الهدى والرشاد، ولا يمكنك أن تُسمع إلا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

قال السعدي: "وهذا خبر عن هيمنة القرآن على الكتب السابقة وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل فقصه هذا القرآن قصاً زال به الإشكال وبين به الصواب من المسائل المختلف فيها، وإذا كان بهذه المثابة من الجلالة والوضوح وإزالة كل خلاف وفصل كل مشكل كان أعظم نعم الله ﷻ على العباد ولكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر، ولهذا بين أن نفعه ونوره وهداه مختص بالمؤمنين"[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 609

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أبو السعود: "من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزاباً وركبوا متن العتو والغلو في الإفراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد في أشياء حتى بلغ المشاقة إلى حيث لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الأمر لو كانوا في حيز الإنصاف"[1]

"يقول ﷻ مخبراً عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان إنه يقص على بني إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى عليه السلام وتباينهم فيه، فاليهود افتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله ﷻ وأنبيائه ورسله الكرام عليهم السلام"[2]

قال الشوكاني: "﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ وذلك لأن أهل الكتاب تفرقوا فرقاً، وتحزبوا أحزاباً، يطعن بعضهم على بعض، ويتبرأ بعضهم من بعض، فنزل القرآن مبيناً لما اختلفوا فيه من الحق، فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم، ويدفع تفرقهم"[3]

"إن هذا القرآن العزيز يخبر بني إسرائيل، وهم حملة التوراة والإنجيل، بالحق في كثير من الأمور التي اختلفوا فيها، كاختلافهم في عيسى عليه السلام، فاليهود افتروا عليه، والنصارى غلوا في شأنه، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله ﷻ، ونبي من أنبيائه ورسله الكرام عليهم السلام. وهذه الحقيقة وغيرها من القصص لا تعرف إلا بالوحي الإلهي من عند الله ﷻ؛ لأن محمد ﷺ المنزل عليه

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (6/ 299)
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 189)
[3] فتح القدير للشوكاني (4/ 173)

القرآن كان أمياً لا يقرأ لا يكتب، ولم يتتلمذ على أحد من العلماء للتعلم ومعرفة شؤون الثقافة، ولأن هذه القصص المذكورة في القرآن موافقة لما في التوراة والإنجيل"[1]

القرآن الكريم كلام الله ﷻ، أنزله على رسوله محمد ﷺ وجعله مهيمناً على ما سبقه من كتب كالتوراة والإنجيل، فما قاله فهو الحق الثابت الذي لا شك فيه، وقد اختلف بنو إسرائيل فيما بينهم، بالرغم من إنزال التوراة والزبور والإنجيل عليهم، وانقسموا إلى شيع وأحزاب متقاتلة، وحرفوا التوراة، وملأوها بالأكاذيب والأساطير والاتهامات، فقص الله ﷻ في آيات القرآن على بني إسرائيل الحق، وأخبرهم الخبر الصحيح، وحسم المسائل الخلافية التي فرقتهم، وذكر وجه الحق فيها، ولو أنصفوا لصدقوه واتبعوه، لكنهم كفروا وكذبوا به بغياً وعدواناً.

وهذا يدل على أن القرآن كلام الله ﷻ، وأن محمداً هو رسول الله ﷺ؛ لأنه كان أمياً لم يتتلمذ على أحد، فمن أين عرف تفصيلات أخبار السابقين؟

﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

هذا القرآن هدى للمؤمنين، يرشدهم للحق ويثبتهم عليه، كما أنه رحمة من الله ﷻ لهم يرحمهم به، ويجعل حياتهم مباركة طيبة عندما يطبقون أحكامه، ومن لم يهتدِ بهدي القرآن فهو الضال.

"إن هذا القرآن لهاد للمؤمنين إلى طريق الرشاد، ورحمة لهم في الأحكام التشريعية المتعلقة بالعقيدة، كالتوحيد والحشر والنبوة وصفات الله ﷻ الحسنى، والمتعلقة بالأحكام العملية الملائمة لحاجات البشر وتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 30)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو أيضاً هدى ورحمة للمؤمنين لبلوغه غاية الفصاحة والبلاغة حتى عجزت البشر عن معارضته، فدل على إعجازه، وخروجه عن طاقتهم، وأنه وحي منزل من إله حكيم حميد قدير، وخص المؤمنين في الآية لأنهم المنتفعون به"[1]

قال السعدي: "﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى ﴾من الضلالة والغي والشبه ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ تنشلح له صدورهم وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ به المصدقين له المتلقين له بالقبول المقبلين على تدبره المتفكرين في معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم والرحمة المتضمنة للسعادة والفوز والفلاح"[2]

قال الشوكاني: "إن القرآن لهدى ورحمة لمن آمن بالله، وتابع رسوله، وخص المؤمنين لأنهم المنتفعون به، ومن جملتهم من آمن من بني إسرائيل"[3]

قال أبو السعود: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾على الإطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني إسرائيل دخولاً أولياً"[4]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

قال أبو السعود: "﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم ﴾ أي بين بني إسرائيل ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾ بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويؤيده أنه قرئ بحكمه ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فلا يرد حكمه وقضاؤه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بجميع الأشياء التي من جملتها ما يقضى به"[5]

قال الشوكاني: "يقضي بين المختلفين من بين إسرائيل بما يحكم به من الحق، فيجازي المحق، ويعاقب المبطل، وقيل: يقضي بينهم في الدنيا، فيظهر ما حرفوه،

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 30)
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 609
[3] فتح القدير للشوكاني (4/ 173)
[4] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (6/ 299)
[5] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (6/ 299)

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾، العزيز الذي لا يغالب، والعليم بما يحكم به، أو الكثير العلم"[1]

قال السعدي: "إن الله ﷻ سيفصل بين المختصين وسيحكم بين المختلفين بحكمه العدل وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين لخفاء الدليل أو لبعض المقاصد فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع حين يحكم الله ﷻ فيها، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بجميع الأشياء ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بأقوال المختلفين وعن ماذا صدرت وعن غاياتها ومقاصدها وسيجازي كلا بما علمه فيه"[2]

جعل الله ﷻ القرآن فاصلاً للخلاف بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم، فإن أخذوا به نالوا الهدى والرحمة، وإن أصروا على الكفر والتكذيب خابوا وخسروا، والله ﷻ لا يدع هؤلاء الكافرين المختلفين، وإنما يقضي بينهم بقضائه العادل، ويحكم فيهم حكمة الصادق، ويوم القيامة يكون العقاب والثواب، حيث ينتقم الله ﷻ العادل من المبطل الظالم، ويكافئ المحسن الصالح، وحكم الله ﷻ نافذ، وقضاؤه ناجز، لأنه لا راد لقضائه، ولا ملغي لحكمه، فهو الفعال لما يريد وهو العزيز القوي ﷻ، الذي لا يعجزه شيء، وهو العليم الذي أحاط بكل شيء علماً.

"إن ربك ﷻ الذي يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون يقضي بين المصيب والمخطئ منهم بحكمه العادل، وهو القوي القادر على الانتقام من المبطل منهم، ومكافأة المحسن منهم، فلا يرد قضاؤه، العليم بأفعال عباده وأقوالهم، فيقضي

---

[1] فتح القدير للشوكاني (4/ 173)
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 609

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالصواب المطابق للواقع؛ لأنه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه، ومعنى ﴿يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ﴾ أي يقضي يوم القيامة بما يحكم به وهو عدله؛ لأنه لا يقضي إلا بالعدل، فسمى المحكوم به حكماً، أو أراد أنه يقضي بحكمته"[1]

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾

"أي ثق بالله ﷻ واعتمد عليه وفوض جميع أمورك إليه، وبلغ رسالة ربك ﷻ، ولا تلتفت إلى أعداء الله ﷻ، فإنك أنت على الحق الواضح، وإن خالفك فيه من خالفك من أهل الشقاء"[2]

قال أبو السعود: "الفاء في قوله ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لترتيب الأمر على ما ذكر من شئونه ﷻ فإنها موجبة للتوكل عليه وداعية إلى الأمر به أي فتوكل على الله ﷻ الذي هذا شأنه فإنه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه ويفوض جميع أموره إليه، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ تعليل صريح للتوكل عليه ﷻ بكونه ﷺ على الحق البين أو الفاصل بينه وبين الباطل أو بين المحق والمبطل فإن كونه ﷺ كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه ﷻ ونصرته وتأييده لا محالة"[3]

قال الشوكاني: "أمره ﷻ بالتوكل وقلة المبالاة، فقال: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ والفاء لترتيب الأمر على ما تقدم ذكره، والمعنى: فوض إليه أمرك، واعتمد عليه فإنه ناصرك، ثم علل ذلك بعلتين: الأولى قوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: الظاهر، وقيل: المظهر"[4]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 30 – 31)
[2] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 31)
[3] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (6/ 299)
[4] فتح القدير للشوكاني (4/ 173)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن القيم: "في ذكر أمره بالتوكل، مع إخباره بأنه على الحق دلالة على أن الدين بمجموعه في هذين الأمرين أن يكون العبد على الحق في قوله وعمله، واعتقاده ونيته، وأن يكون متوكلاً على الله ﷻ واثقاً به. فالدين كله في هذين المقامين"[1]

وقال أيضاً: "فأمر رسوله ﷺ بالتوكل عليه، وعقب هذا الأمر بما هو موجب للتوكل مصحح له مستدع لثبوته وتحققه، وهو قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ فإن كون العبد على الحق يقتضى تحقيق مقام التوكل على الله ﷻ، والاكتفاء به، والإيواءَ إلى ركنه الشديد، فإن الله ﷻ هو الحق، وهو ولى الحق وناصره ومؤيده، وكافي من قام به، مخلصاً للحق أن لا يتوكل عليه؟ وكيف يخاف وهو على الحق؟"[2]

قال السعدي: "اعتمد على ربك ﷻ في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ الواضح والذي على الحق يدعو إليه، ويقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية، وأيضاً فهو حق في غاية البيان لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حملت وتوكلت على الله ﷻ في ذلك فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هداهم"[3]

الله ﷻ هو العزيز العليم، وهو الذي يقضي بين الناس بحكمه العادل، ويجب التوكل عليه، ولذلك يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ بذلك، ويقول له: توكل على الله ﷻ، وثق به، واعتمد عليه، وفوض جميع أمرك إليه، وهو حسبك وكافيك، يتولى أمورك،

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم الجوزية (2/ 127)
[2] طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية ص 257
[3] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 609

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويثبت الله ﷻ رسوله ﷺ على الحق، فيذكره بأنه على الحق المبين الواضح، وأن ما معه هو القرآن، كلام الله ﷻ، وأنه رسول الله ﷺ، وأن الله ﷻ ناصره على أعدائه، ومظهر دينه، فلا يلتفت للأعداء، ولا يحسب لهم حساباً.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾

قال ابن القيم: "وصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فإذا مات القلب لم يبقَ فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب وألم فقدهما"[1]

قال القرطبي: "﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ يعني الكفار لتركهم التدبر، فهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل، وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن، ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون"[2]

"إنك لا تستطيع أن تسمعهم شيئاً ينفعهم، فهم حين توليهم مدبرين معرضين عنك كالموتى لا يتأثرون بما يتلى عليهم ولا يفهمونه، وكالصم الذين لا أمل في سماعهم فلا يسمعون بحال، وكالعمي الذين لا يبصرون ولا يلتفتون إلى شيء أصلاً؛ لأن على قلوبهم غشاوة، وفي آذانهم وقر الكفر، وفي نفوسهم استعلاء واستكباراً عن الرضوخ للحق. وفي هذه العلة الثانية قطع طمع النبي ﷺ عن الكفار، فيقوى قلبه على إظهار مخالفة أعداء الله ﷻ، بأن بين له أنهم كالموتى وكالصم وكالعمي، فلا

[1] شفاء العليل لابن القيم الجوزية ص 104
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 232)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون ولا يلتفتون إلى شيء من الدلائل، ولأن الإنسان ما دام يطمع في أن يأخذ من أحد شيئاً، فإنه لا يجرأ على مخالفته، وهذا سبب قوة قلبه ﷺ على إظهار الدين كما ينبغي.

ومعنى قوله: ﴿ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ تأكيد لحال الأصم؛ لأنه إذا تباعد وأدبر عن الداعي كان أبعد عن إدراك صوته.

والخلاصة: إنه ﷻ أمر رسوله ﷺ بالتوكل عليه والإعراض عما سواه؛ لأنه على الحق المبين، وغيره على الباطل، ولأنه لا أمل ولا مطمع في مساندة المشركين، ولا في استجابتهم لدعوة الحق"[1]

قال السعدي: "﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ أي حين تدعوهم وتناديهم، وخصوصاً ﴿ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم"[2]

بما أن الرسول ﷺ على الحق، فليثبت عليه، وليتوكل على الله ﷻ، وليقم بواجبه في الدعوة إلى الله ﷻ، ولا عليه بعد ذلك أن يستجيب الناس لدعوته أو يرفضوها، فالذين فيهم خير يستجيبون له ويؤمنون به، والعمي الصم الموتى يرفضون دعوته.

فالله ﷻ يواسي رسوله ﷺ عما يجده من أذى قومه، ويقول له: إنك لا تستطيع أن تسمع الكفار من قومك سماع استجابة، عندما يرفضون دعوتك، ويتولون مدبرين عنك، لأنهم كالصم الذين لا يسمعون، والعمي الذين لا يبصرون، وكالموتى الذين لا حياة فيهم.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 31 – 32)
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 609

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

أن الكفار موتى في قلوبهم وأرواحهم، فلا يتعظون ويعتبرون ولا ينتفعون، والكفار لا يستفيدون مما يسمعون، فكأنهم لا يسمعون، وكأن في آذانهم صمماً، وهم لا ينتبهون لما يشاهدونه، فكأنهم عمي لا يبصرون.

من هم الذين يستفيدون مما يسمعونه من رسول الله ﷺ؟ إنهم العقلاء الأحياء المبصرون السامعون، وهؤلاء هم المؤمنون بآيات الله ﷻ، الملتزمون بشرع الله ﷻ، الذين صاروا مسلمين متبعين لرسول الله ﷺ.

قال السعدي: "﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦، ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي هؤلاء الذين ينقادون لك، الذين يؤمنون بآيات الله ﷻ وينقادون لها بأعمالهم واستسلامهم كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام: ٣٦"[1]

قال الشوكاني: "﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ أي ما أنت بمرشد من أعماه الله ﷻ عن الحق إرشاداً يوصله إلى المطلوب منه وهو الإيمان، وليس في وسعك ذلك، ومثله قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦، ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 609

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أي ما تسمع إلا من يؤمن لا من يكفر، والمراد بمن يؤمن بالآيات من يصدق القرآن، وجملة ﴿ فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ تعليل للإيمان، أي فهم منقادون مخلصون"[1]

قال أبو السعود: "﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ ﴾ هداية موصلة إلى المطلوب كما في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ القصص: ٥٦، فإن الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وإيراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية، ﴿ إِن تُسۡمِعُ ﴾ أي ما تسمع سماعاً يجدي السامع نفعاً، ﴿ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي من شأنهم الإيمان بها وإيراد الإسماع في النفي والإثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال إن تهدي إلا من يؤمن الخ لما أن طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية، ﴿ فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل فإنهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله ﷻ"[2]

"وما أنت أيها الرسول ﷺ بمستطيع أن تهدي العمي عن ضلالتهم، أي تردهم عن الضلال بالهدى لأن على أبصارهم غشاوة تمنعهم عن النظر فيما أتيت به نظراً مؤدياً إلى الحق، وما يجدي إسماعك إلا الذين علم الله ﷻ أنهم يؤمنون بآياته، أي يصدقون بها، فهم مسلمون مخلصون التوحيد لله ﷻ، خاضعون لله ﷻ، ولا يستجيب لك إلا من هو مبصر القلب، يستخدم سمعه وبصره في إدراك الأمور على

---

[1] فتح القدير للشوكاني (4/ 174)
[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (6/ 300)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجهها الصحيح، مستعد لقبول الحق، فهذا هو المسلم الذي أسلم وجهه لله ﷻ، يعني جعله سالماً لله ﷻ خالصاً له"[1]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. اختلف أهل الكتاب في دينهم من بعد ما جاءهم الحق، والقرآن حسم الخلاف بينهم بما قدم من الحق.

2. لا يهتدي بالقرآن ولا يستفيد مما فيه من رحمة إلا المؤمنون الصالحون.

3. الله ﷻ عادل في حكمه وقضائه، ويقضي بين الناس ويزيل الخلاف بينهم يوم القيامة.

4. التوكل على الله ﷻ معلم من معالم العقيدة، وواجب على كل رسول وداعية.

"5. يثبت الله ﷻ بهذه الآيات صدق النبوة وصحة رسالة الرسول ﷺ، وذلك بالقرآن الذي أنزله على قلب نبيه ﷺ، مشتملاً على وجوه عديدة من الإعجاز.

منها: أنه يبين لبني إسرائيل الموجودين حال نزوله ما اختلفوا فيه، لو أخذوا به، وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل، وما سقط من كتبهم من الأحكام.

ومنها: أن القرآن هاد من الضلالة إلى الحق والاستقامة والرشاد، ورحمة لمن صدق به بما اشتمل عليه من الأدلة العقلية على التوحيد والبعث والنبوة وشرح صفات الله ﷻ ونعوت جلاله، وبما انطوى عليه نظمه من سمو الفصاحة والبلاغة، حتى عجز البشر عن معارضته، مما يدل على أنه كلام الله ﷻ المعجز الدال على صدق الرسالة النبوية.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 32)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

6. ذكر الله ﷻ دليل عدله، فهو ﷻ يقضي بين بني إسرائيل وغيرهم فيما اختلفوا فيه في الآخرة، فيجازي المحق والمبطل، وهو العزيز أي المنيع الغالب الذي لا يرد أمره، العليم الذي لا يخفى عليه شيء.

7. أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالتوكل على الله ﷻ، أي تفويض أمره إليه واعتماده عليه، فإنه ناصره، لأنه على الحق المبين، أي الظاهر، ولأن هؤلاء الكفار أشبه بالموتى لتركهم التدبر، فلا حس لهم ولا عقل، وبمنزلة الصم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون، وكالعميان الذين لا يميزون طريقهم، فهم تائهون حائرون.

8. ذكر الله ﷻ قاعدة عامة في مسيرة الدعوة للنبي ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ أي ليس في وسعك خلق الإيمان في قلوبهم، وما تسمع إلا المستعد لقبول الحق، المهيأ للإيمان بآيات الله ﷻ، المخلوق للسعادة، فهم مخلصون في التوحيد. أما الكافر المعاند المعرض عن آيات ربه ﷻ فلا أمل في إيمانه."[1]

9. على المؤمن ألا يفارقه شعور أنه على الحق المبين؛ ليثبت على الحق ويواجه الباطل.

10. الكافر عطل منافذ المعرفة عنده من سمع وبصر وقلب بإصراره على الكفر، ولذلك يرفض دعوة الحق.

11. المؤمن يعتبر ويتعظ مما يرى ويسمع لأن منافذ المعرفة عنده فاعلة نشيطة.

12". شرف القرآن وفضله.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 32 – 33)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

13. لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلموا اهتدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم.

14. كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله ﷻ بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل ويوفي كلا ما له أو عليه وهو العزيز العليم.

15. الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لا يسمعون الهدى ولا يبصرون الآيات مهما كانت واضحات، فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعاويهم."[1]

❁ ❁ ❁

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 43)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من مشاهد يوم القيامة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة الحادية عشر
من مشاهد يوم القيامة

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النمل: ٨٢ - ٩٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتماديهم في المعاصي والطغيان، وإعراضهم عن شرع الله ﷻ وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي "الدابة"، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا بالقرآن ومحمد ﷺ ودينه لا يصدقون ولا يعملون، ويوم نجمع يوم الحشر من كل أمة جماعة، ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، يُحْبَس أولهم على آخرهم؛ ليجتمعوا كلهم، ثم يساقون إلى الحساب، حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله ﷻ: أكذَّبْتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي، وبالآيات التي أقمتها دلالة على توحيدي واستحقاقي وحدي للعبادة ولم تحيطوا علمًا ببطلانها، حتى تُعرضوا عنها وتُكَذِّبوا بها، أم أي شيء كنتم تعملون؟ وحقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم ما حلَّ بهم من سوء العذاب، ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا أنا جعلنا الليل يستقرُّون فيه وينامون، والنهار يبصرون فيه للسعي في معاشهم؟ إن في تصريفهما لَدلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الله ﷻ ووحدانيَّته وعظيم نعمه، واذكر -أيها الرسول ﷺ- يوم يَنفخ المَلَك في "القرن" ففزع مَن في السموات ومَن في الأرض فزعًا شديدًا مِن هول النفخة، إلا مَنِ استثناه الله ﷻ ممن أكرمه وحفظه من الفزع، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم ﷻ صاغرين مطيعين، وترى الجبال تظنها واقفة مستقرة، وهي تسير سيرًا حثيثًا كسير السحاب الذي تسيِّره الرياح، وهذا مِن صنع الله ﷻ الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقنه، إن الله ﷻ خبير بما تفعلون أيها الناس من خير وشر، وسيجازيهم على ذلك، من جاء بتوحيد الله ﷻ والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله ﷻ من الأجر العظيم ما هو خير منها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفزع الأكبر آمنون، ومن جاء بالشرك والأعمال السيئة المنكرة، فجزاؤهم أن يكبَّهم الله ﷻ على وجوههم في النار يوم القيامة، ويقال لهم توبيخًا: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا؟

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله ﷻ وفرض وقته، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً ﴾ خارجة ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء، وهذه الدابة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ أي: تكلم العباد ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله ﷻ، فإظهار الله ﷻ هذه الدابة من آيات الله ﷻ العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يأتِ دليل يدل على كيفيتها ولا من أي نوع هي وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله ﷻ يخرجها للناس وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله ﷻ به في كتابه.

يخبر ﷻ عن حالة المكذبين في موقف القيامة وأن الله ﷻ يجمعهم، ويحشر من كل أمة من الأمم فوجاً وطائفة ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يجمع أولهم على آخرهم وآخرهم على أولهم ليعمهم السؤال والتوبيخ واللوم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو ﴾ وحضروا قال لهم موبخاً ومقرعاً: ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا ﴾ العلم أي: الواجب عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق وأن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كذبتم بأمر لم تحيطوا به علماً؟ ﴿ أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: يسألهم

عن علمهم وعن عملهم فيجد عليهم تكذيباً بالحق، وعملهم لغير الله ﷻ أو على غير سنة رسولهم، ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ ﴾ أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه وتوجهت عليهم الحجة، ﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ لأنه لا حجة لهم، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة والنعمة الجسيمة وهو تسخير الله ﷻ لهم الليل والنهار، هذا بظلمته ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه لينتشروا فيه في معاشهم وتصرفاتهم، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ على كمال وحدانية الله ﷻ وسبوغ نعمته.

يخوف ﷻ عباده ما أمامهم من يوم القيامة وما فيه من المحن والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ ﴾ بسبب النفخ فيه ﴿ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفاً مما هو مقدمة له، ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ممن أكرمه الله ﷻ وثبته وحفظه من الفزع، ﴿ وَكُلٌّ ﴾ من الخلق عند النفخ في الصور ﴿ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ صاغرين ذليلين، كما قال ﷻ: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} ففي ذلك اليوم يتساوى الرؤساء والمرؤوسون في الذل والخضوع لمالك الملك، ومن هوله أنك ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ لا تفقد شيئاً منها وتظنها باقية على الحال المعهودة وهي قد بلغت منها الشدائد والأهوال كل مبلغ وقد تفتت ثم تضمحل وتكون هباءً منبثاً، ولهذا قال: ﴿ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ من خفتها وشدة ذلك الخوف وذلك ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم، ثم بين كيفية جزائه فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ هذا أقل التفضيل، ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ أي من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون وإن كانوا يفزعون معهم، ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ اسم جنس يشمل كل سيئة ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ أي ألقوا في النار على وجوههم ويقال لهم: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾"[1]

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

"إذا حق الوعد بإقامة القيامة أوضحنا أشراطها في كلام الدابة المخرجة من الأرض، وغير ذلك من الآيات"[2]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض"[3]

ومن الأقوال في هذه الدابة: أنها فصيل ناقة صالح عليه السلام"[4]، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: "لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية- يعني مكة- ثم تكمن زماناً طويلاً ثم تحرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية" يعني

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 610
[2] لطائف الإشارات للقشيري (3/ 50)
[3] رواه مسلم (1/ 137) حديث برقم 158
[4] الجامع لحكام القرآن للقرطبي (13/ 235)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مكة قال رسول الله ﷺ: "ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعا وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطلحون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن يقول يا كافر اقض حقي"[1]

قال القرطبي: "موضع الدليل من هذا الحديث أنه الفصيل قول: "وهي ترغو" والرغاء إنما هو للإبل، وذلك أن الفصيل لما قتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله ﷻ"[2]

ومنها: "أن هذه الدابة تكون إنساناً متكلماً يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا"[3]

ومنها: "أنها تخرج من جبل الصفا بمكة بعد أن يتصدع"[4]

قال ابن تيمية: "أن القرآن قد أخبر بثلاث نفخات:

الأولى: نفخة الفزع: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ

﴿٨٧﴾ النمل: ٨٧

---

[1] مسند أبي داود الطيالسي (2/ 395) حديث رقم 1165
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 235)
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 236)
[4] هذا قول عبد الله بن عمر قاله القرطبي في تفسيره (13/ 236)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثانية: نفخة القيام والبعث: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨

الثالثة: نفخة الصعق وهي هلاك جميع المخلوقات: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨"[1]

والذي يؤيد أن هذه الدابة تنطق وتخاطب الناس بكلامه يسمعونه ويفهمونه هو أنه جاء ذكرها في سورة النمل، وهذه السورة فيها مشاهد وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطير والجن وسليمان عليه السلام فجاء ذكر الدابة وتكليمها الناس متناسقاً مع مشاهد السورة وجوها محققاً لتناسق التصوير في القرآن، وتوحيد الجزئيات التي يتألف منها المشهد العام"

" يخبر سبحانه وتعالى بأنه حين فساد الناس وتركهم أوامره وتبديلهم الدين الحق قرب مجيء الساعة- تخرج دابة من الأرض تحدّث الناس بأنهم كانوا لا يوقنون بآياته الدالة على مجيء الساعة ومقدّماتها، والمقصود من هذا التحديث: التشنيع عليهم بهذه المقالة، وفي التعبير بكلمة (النَّاسَ) الإشارة إلى كثرتهم وأنهم جمّ غفير منهم.

وما جاء في وصف الدابة والمبالغة في طولها وعرضها، وزمان خروجها ومكانه- مما لا يركن إليه، فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم"[2]

"أنه في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله سبحانه وتعالى، وتبديلهم الدين الحق، واستحقاقهم العذاب الموعود به، وذلك قرب مجيء الساعة، يخرج الله سبحانه وتعالى للناس

---

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (4/ 260)

[2] تفسير المراغي للمراغي (20/ 22)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دابة من الأرض تحدثهم أن أكثر الناس كانوا بآيات الله ﷻ لا يوقنون، ولعل تلك الدابة هي إنسان كما قال بعض المفسرين الجدد لوصفها بالكلام؛ ولأن كل ما يدب على الأرض فهو دابة.

وسميت تلك الدابة في الآثار بالجساسة، وورد في شأنها أحاديث آحاد، منها ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر أمر الساعة، فقال: "لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن، تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا"[1]

وأما موضع خروجها فهو: سئل النبي ﷺ: من أين تخرج الدابة؟ فقال: "من أعظم المساجد حرمة على الله ﷻ، يعني المسجد الحرام"[2][3]

تخبر هذه الآية عن آية عجيبة من آيات الله ﷻ، تكون في آخر الزمان، قرب قيام الساعة، وهي خروج الدابة من الأرض، وكلامها مع الناس، فعندما يقع على الناس قبيل الساعة أمر الله ﷻ، ويحق عليهم عذاب الله ﷻ، ويشاء الله ﷻ إنهاء الدنيا، يخرج لهم دابة من الأرض تكلمهم، ومع ظهور الآيات ومشاهدة الناس لها فإنهم لا يؤمنون بالله ﷻ، ولذلك يستحقون عذاب الله ﷻ، وخروج الدابة من علامات الساعة الكبرى، وهي من آخر علاماتها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

---

[1] رواه مسلم (4/ 2225) حديث رقم 2901
[2] المعجم الأوسط للطبراني (2/ 176) حديث رقم 1635
[3] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 37)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن رسول الله ﷺ قال: "إن أول الآيات خروجا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبا"[1]، وعندما تخرج الدابة على الناس الكافرين تكلمهم كلاماً واضحاً مفهوماً، وتقول لهم: أنتم أيها الناس لا تؤمنون بآيات الله ﷻ، وبذلك استحققتم عذاب الله ﷻ، فانتظروا وقوعه بكم.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

"﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار، وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان عليه السلام بذلك. وكذلك قوله: ﴿ فَوْجًا ﴾ فإن الفوج الجماعة الكثيرة. ومنه قوله ﷻ: ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ النصر: ٢، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: "أبو جهل والوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة: يساقون بين يدي أهل مكة، وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار"، فإن قلت: أي فرق بين من الأولى والثانية؟ قلت: الأولى للتبعيض، والثانية للتبيين، كقوله من الأوثان"[2]

"يقول ﷻ مخبراً عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ﷻ ورسله عليهم السلام إلى بين يدي الله ﷻ ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا، تقريعاً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً فقال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ أي من كل قوم وقرن فوجاً أي جماعة ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ﴾ كما قال ﷻ: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الصافات: ٢٢، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ

[1] رواه مسلم (4/ 2260) حديث رقم 2941
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 385)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ التكوير: ٧، وقوله ﷻ: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون، وقال قتادة: وزعة يرد أولهم على آخرهم"[1]

"بين ﷻ حال المكذبين حين مجيء الساعة بعد بيان بعض مباديها وأشراطها فقال: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ أي ويوم نجمع من كل أهل قرن جماعة كثيرة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ودلائلنا، ونحبس أولهم على آخرهم، ليجتمعوا في موقف التوبيخ والإهانة"[2]

"﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي ويوم نجمع يوم القيامة جماعة من رؤساء كل أمة من الظالمين المكذبين بآيات الله ﷻ ورسله عليهم السلام، ونحبس أولهم على آخرهم، ليجتمعوا في موقف الحشر والحساب"[3]

تقوم الساعة ويهلك الله ﷻ الكافرين، ثم تبدأ مشاهد يوم القيامة، حيث يبعث الله ﷻ الناس جميعاً، ويساقون إلى أرض المحشر للحساب، ويحشر الله ﷻ الناس أفواجاً، منهم الكافرون المكذبون بآيات الله ﷻ، ويحشر فوجاً من هؤلاء الكافرين، وهم رؤساؤهم وقادتهم، ويكون حشرهم في غاية الذلة والمهانة لهم، إذ يوزعون ويساقون، ويجمع أولهم على آخرهم، ويسيرون من دون إرادة ولا اختيار، ويحركون بالرغم عنهم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 194)
[2] تفسير المراغي للمراغي (20/ 22)
[3] التفسير المني للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 37)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"حتى إذا جمعوا ووقفوا بين يدي الله ﷻ للحساب والنقاش، فيقول الله ﷻ لهم توبيخاً وتبكيتاً: أكذبتم بآياتي الدالة على لقاء هذا اليوم، غير ناظرين بما يحيطكم علماً بحقيقة الآيات، وإذا لم تتأملوا فيها، فبماذا كنتم تشغلون أنفسكم أو تعملون فيها من تصديق أو تكذيب؟! فقوله: ﴿ أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بمعنى: بل ماذا كنتم تعملون؟! ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي وحينئذ يحل العذاب بأولئك المكذبين بآيات الله ﷻ بسبب ظلمهم، أي تكذيبهم وكفرهم، فيشغلهم عن النطق والاعتذار"[1]

بعد أن يساق هؤلاء الظالمون المكذبون بذلة ومهانة يوقفون في ساحة العرض للحساب، ويسألهم الله ﷻ سؤالين للتوبيخ والتأنيب، فيقول لهم: لقد قدمت لكم في الدنيا آياتي، أكذبتم بها؟ ورفضتم أن تصدقوا بما فيها، ولم تحيطوا بها علماً؟ أم ماذا كنتم تعملون في حياتكم؟ وإن الله ﷻ يعلم أنهم كذبوا بآياته بمجرد سماعهم لها، وأنهم لم يعملوا في حياتهم شيئاً له قيمة، ولذلك لم ينتظر الجواب منهم؛ لأن الهدف هو التوبيخ والتأنيب، وعرفوا الهدف من السؤالين، فازدادوا شعوراً بالذل والخزي، ولم ينطقوا بجواب، وكان سكوتهم أبلغ من أي نطق منهم، قال ﷻ: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦

"حتى إذا جاءوا ووقفوا بين يدي الله ﷻ في مقام السؤال والجواب، ومناقشة الحساب، قال لهم ربهم ﷻ مؤنباً وموبخاً لهم على تكذيبهم: أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا بادي الرأي غير ناظرين فيها نظراً يوصلكم إلى العلم بحقيقتها، أم

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 38)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ماذا كنتم تعملون فيها من تصديق وتكذيب؟ ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي وحلّ بأولئك المكذبين بآيات الله ﷻ السخط والغضب بتكذيبهم بها، ﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم من العذاب الأليم"[1]

"أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى إحاطة العلم بكنهها، وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب، أو للعطف، أي: أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها، فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه، ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه أما ذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير، وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب، فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب، ومثاله أن تقول لراعيك- وقد عرفته رويعي سوء-: أتأكل نعمى، أم ماذا تعمل بها؟ فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده، وترمى بقولك: أم ماذا تعمل بها، مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل، لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها، وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والإصلاح، لما شهر من خلاف ذلك، أو أراد: أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله ﷻ، أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك؟ يعنى أنه لم يكن لهم عمل غيره، كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية، وإنما خلقوا للإيمان والطاعة: يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها، وذلك قوله ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ

[1] تفسير المراغي للمراغي (20/ 22 – 23)

www.alukah.net

عَلَيْهِم ﴾ يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم، وهو التكذيب بآيات الله ﷻ، فيشغلهم عن النطق والاعتذار"[1]

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يترك الكافرون صامتين، مقرين بتكذيبهم بآيات الله ﷻ في الدنيا، ويذكرهم بعدم التفاتهم إلى هذه الآيات، فقد كانوا يعيشون ساعات الليل والنهار من دون انتباه ولا تدبر، ولم يروا أن الله ﷻ جعل لهم الليل ليسكنوا فيه، فيستريحواويناموا، وجعل لهم النهار مضيئاً ليتحركوا فيه ويقوموا بأعمالهم ومعايشهم، إنه لا يتدبر آيات الله ﷻ في الليل والنهار وغيرهما إلا القوم المؤمنون، حيث يزيدهم ذلك إيماناً والتزاماً وطاعة، أما الكافرون فإنهم يتعاملون معها بعمى وصمم، فيكذبون ويكفرون.

قال الزمخشري: "جعل الإبصار للنهار وهو لأهله، فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصراً حيث كان أحدهما علة والآخر حالاً؟ قلت: هو مراعى من حيث المعنى، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف، لأن معنى مبصراً: ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب"[2]

قال المراغي: "بعد أن خوّفهم من أهوال يوم القيامة ذكر الدليل على التوحيد والحشر والنبوة فقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾

أي ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار ومخالفتنا بينهما بجعل ذاك سكناً لهم يسكنون فيه، ويهدئون راحة لأبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهاراً،

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 386)
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 386)

وجعل هذا مضيئاً يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها، فيتقلبون فيه لمعايشهم- فيتفكرون في ذلك ويتدبرون ويعلمون أن مصرّف ذلك كذلك، هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات.

وفي ذلك أيضاً دليل على النبوة؛ لأنه كما يقلب الليل والنهار لمنافع المكلفين ففي بعثة الأنبياء عليهم السلام منافع عظيمة للناس في دنياهم ودينهم، فما المانع إذا من بعثهم إليهم؟ بل الحاجة إلى ذلك ملحّة.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي إن فيما ذكر لدلالة على قدرته على البعث بعد الموت، وعلى توحيده لمن آمن به وصدّق برسله عليهم السلام، فإن من تأمل في تعاقبهما واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم تحار في فهمها العقول، ولا يحيط بعلمها إلا الله ﷻ وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل الحالكة المشابهة للموت، بضياء النهار المضاهي للحياة، وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة- قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله ﷻ يبعث من في القبور، وجزم بأن الله ﷻ جعل هذا دليلاً على تحققه، وأن الآيات الناطقة به حق، وأنها من عند الله ﷻ"[1]

"ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتنا أنا خلقنا الليل للسكن والنوم والراحة والقرار بعد عناء التعب في النهار، وخلقنا النهار منيراً مشرقاً للتصرف أو التقلب في المعايش والمكاسب والأسفار والتجارات وغيرها من شؤونهم التي يحتاجونها، إن في ذلك الخلق والإيجاد لدلالات على قدرة الله ﷻ على البعث بعد الموت، للجزاء والحساب، وعلى توحيده، لقوم يصدقون بالله ﷻ ورسله عليهم السلام.

[1] تفسير المراغي للمراغي (20/ 23)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن تأمل في تعاقب الليل والنهار والانتقال من حال شبيهة بالموت إلى حال الحركة والحياة، أدرك أن القيامة كائنة لا محالة، وأن الله ﷻ سيبعث من في القبور"[1]

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾

من أحداث الساعة النفخ في الصور، وهو بوق كبير، لا يعلم حجمه وشكله إلا الله ﷻ، والملك الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه النفخة الأولى فيهلك الله ﷻ الأحياء، ثم ينفخ فيه النفخة الثانية، فيبعث الله ﷻ الأموات فيقومون خائفين وجلين، والذي يظهر أن الآية تتحدث عن النفخة الثانية، لقوله: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ والفزع يصيب من في السموات والأرض إلا من شاء الله ﷻ، ومن هؤلاء الذين لا يصيبهم الفزع المؤمنون الأتقياء الصالحون الذين قال الله ﷻ فيهم ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النمل: ٨٩، وفيهم يقول أيضاً: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٣، يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: اذكر للناس الهول والفزع الذي يصيبهم يوم ينفخ في الصور فيحيي الله ﷻ الخلائق جميعاً، ويبعثهم من قبورهم، ويحشرهم إلى ساحة العرض للحساب، ويساقون داخرين صاغرين خاضعين مستسلمين، والكافرون صغارهم صغار ذل وهوان وحسرة، والمؤمنون صغارهم صغار هيبة وخشية وخشوع لله ﷻ رب العالمين.

"﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي اذكر أيها الرسول ﷺ للناس هول يوم نفخة الفزع في الصور، وهو كما جاء في

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 38)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحديث: قرن ينفخ فيه، إذ يخاف جميع من في السماوات ومن في الأرض خوفاً شديداً، يؤدي بهم إلى الموت إلى من شاء ربك ﷻ، بأن ثبت قلبه فلا يخاف، وهم بعض الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، وقيل: هم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم ﷻ يرزقون.

وهناك نفختان: نفخة الفزع في هذه الآية وهي النفخة الأولى، ونفخة الصعق (أي الموت) المذكورة في قوله ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨، والنفخة الثانية: نفخة البعث التي في تتمة الآية السابقة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨، وفي آية أخرى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ يس: ٥١

وفي حديث الصور: إن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله ﷻ، فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السماوات ومن في الأرض.

فالنفخ إذن مرتان: مرة ليموت الكل إلا من شاء الله ﷻ، ومرة ليحيي الكل للحساب، ومن استثني أولاً يموت بعد النفخة الأولى وقبل الثانية.

﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ أي وكل واحد من الخلائق يأتون إلى الموقف بين يدي الله ﷻ للسؤال والحساب أذلاء صاغرين، صغار ذل إن كانوا كفاراً، وصغار هيبة وخشية إن كانوا مؤمنين، لا يتخلف أحد عن أمر ربه ﷻ، كما قال: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ مريم: ٩٣، قال: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ الإسراء: ٥٢، وقال: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِذَآ أَنتُم تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الروم: ٢٥، وقال: ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المعارج: ٤٣"[1]

قال الزمخشري: "إن قلت: لم قيل ففزع دون فيفزع؟ قلت: لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السماوات والأرض؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به، والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون إلا من شاء الله ﷻ إلا من ثبت الله ﷻ قلبه من الملائكة، قالوا: هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت- عليهم السلام، وقيل: الشهداء، وعن الضحاك: الحور، وخزنة النار، وحملة العرش، وعن جابر: منهم موسى عليه السلام؛ لأنه صعق مرة، ومثله قوله ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨، وقرئ: أتوه. وأتاه، ودخرين، فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ، والداخر والدخر: الصاغر، وقيل: مع الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية، ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له"[2]

﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾

يحدثنا الله ﷻ عن مشهد الجبال في يوم القيامة، فالجبال الثابتة الراسخة، التي كانت أوتاداً رواسي، ينظر إليها الإنسان فيظنها جامدة راسية، مع أنها تمر مروراً سريعاً، كأنها السحاب في سرعته وخفته، قال ﷻ: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابٗا ﴿٢٠﴾ ﴾

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 44 -45)
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 386 -387)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

النبأ: ٢٠، وهذا الصنع صنع الله ﷻ، والفعل فعله، فهو الذي خلق السموات والأرض وأتقن ما فيهما، وهو الذي أزالهما عند قيام الساعة، وهو الذي يأتي بيوم القيامة بقدره، ويرتب كل ما فيه، بجمته، فهو الذي أتقن كل شيء، في الدنيا والآخرة، وهو الخبير بما يفعله الناس في الدنيا من خير وشر.

"﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ أي وتنظر إلى الجبال فتراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تزول بسرعة عن أماكنها، وتسير كما يسير الغمام بتأثير الرياح؛ لأن الجسم الكبير إذا تحرك برتابة لا تكاد حركته تبين، كما قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ ﴾ الطور: ٩ - ١٠، وقال: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ۝٤٧ ﴾ الكهف: ٤٧، وقال: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾ النبأ: ٢٠، وقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ ﴾ طه: ١٠٥ - ١٠٧.

وتسير الجبال- وإن دكت عند النفخة الأولى- يحدث بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق، ليشاهدها أهل المحشر، فيبدل الله ﷻ الأرض غير الأرض والسموات، كما قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ إبراهيم: ٤٨، وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فائقة، لكن الظاهر أن ذلك في الآخرة لأن الكلام هنا عن يوم القيامة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أي ذلك الصنع هو فعل الله ﷻ بقدرته العظيمة، الذي أحكم كل شيء، وأودع فيه من الحكمة ما أودع.

﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ هذا علة النفخ في الصور والبعث للحساب والجزاء، أي إن الله ﷻ عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء"[1]

قال القرطبي: " إن الله ﷻ وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه، فأول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعهن المنفوش، وذلك إذا صارت السماء كالمهل، وقد جمع الله ﷻ بينهما فقال: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ ﴾ المعارج: ٨ - ٩

الحالة الثالثة: أن تصير كالهباء وذلك أن تنقطع بعد أن كانت كالعهن.

الحالة الرابعة: أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز، فإذا نسفت فبإرسال الرياح عليها.

الحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار، فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساداً جامدة، وهي بالحقيقة مارة إلا إن مرورها من وراء الرياح كأنها مندكة متفتتة.

الحالة السادسة: أن تكون سراباً فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً منها كالسراب"[2]

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 45 – 46)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 242 – 243)

قال القشيري: "كثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين، هم ساكنون بنفوسهم سائحون في الملكوت بأسرارهم، قيل: إن الإشارة اليوم إليهم، كما قالوا: العارف كائن بائن كائن مع الناس بظاهره، بائن عن جميع الخلق بسرائره"[1]

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

أهل الحسنات لهم الحسنى وزيادة، حتى إن التمرة يربها بإخلاص صاحبها حتى تكون مثل أحد، أما أهل الآثام والظلم والفواحش، فتهان كرامتهم كما أهانوا أنفسهم بالمعاصي، ولهذا يبدأ في العقوبة بوجوههم التي هي أشرف الجسد.

بعد نفخة البعث يخرج الناس من قبورهم، ويساقون إلى أرض الموقف للحساب، ويكونون فريقين:

الفريق الأول: المؤمنون الصالحون، الذين استقاموا في الدنيا على طاعة الله ﷻ، فالواحد منهم يكون سعيداً عند الحساب؛ لأنه جاء بالحسنات والطاعات، فيرحمه الله ﷻ بأن يكافئه على ذلك الثواب الجزيل، وهذا خير من حسناته، ويدخله جنات النعيم، وبذلك يأمن من الفزع والخوف والعذاب والنار.

الفريق الثاني: الكافرون الظالمون، الذين كفروا بالله ﷻ وعملوا السيئات والمعاصي في الدنيا، وهؤلاء يكونون أشقياء خاسرين؛ لأنهم جاءوا بالسيئات، فيعاقبهم الله ﷻ بالعذاب الشديد، ويكبهم على وجوههم في النار، ويطرحهم فيها بإذلال وهوان، ويقال لهم وهم فيها: ما هذا العذاب إلا جزاء لما كنتم تعملونه في الدنيا من كفر ومعاصٍ ومنكرات.

---

[1] لطائف الإشارات للقشيري (3/ 51)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال القشيري: "يحتمل أن يكون ﴿ خَيْرٌ ﴾ هاهنا للمبالغة؛ لأن الذي له في الآخرة من الثواب خير مما منه من القرب: ويحتمل فله نصيب خير أو عاقبة خير أو ثواب خير منها، وهم آمنون من فزع القيامة، ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ فكما أن حالهم اليوم من المطيعين بالعكس فحكمهم غداً في الآخرة بالضد"[1]

قال القرطبي: ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ للتفضيل أي ثواب الله ﷻ خير من عمل العبد وقوله وذكره، وكذلك رضوان الله ﷻ خير للعبد من فعل العبد، وقيل: ويرجع هذا إلى الإضعاف فإن الله ﷻ يعطيه بالواحدة عشراً، وبالإيمان في مدة يسيرة الثواب الأبدي"[2]

قال المراغي: "بين حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ أي من آمن بالله ﷻ وعمل صالحاً فله على ذلك جزيل الثواب من عند ربه ﷻ في جنات النعيم، يأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة كما جاء في الآية: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٣، وقال: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٤٠﴾ ﴾ فصلت: ٤٠، وقال: ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سبأ: ٣٧، وقد صح تفسير الحسنة هنا بشهادة أن لا إله إلا الله.

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ أي ومن أشركوا بالله ﷻ وعملوا السيئات يكبّون على وجوههم في جهنم ويطرحون فيها، ونحو الآية قوله: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤، ثم ذكر ما يقال لهم حينئذ فقال:

---

[1] لطائف الإشارات للقشيري (3/ 52)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 244 – 245)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ أي ويقال لهم: هل هذا إلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا، مما يسخط ربكم ﷻ ويغضبه منكم من شرك به ومعصية له"[1]

"بين الله ﷻ حال المكلفين السعداء والأشقياء بعد قيام القيامة فقال:

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ أي من جاء مؤمناً بالله ﷻ وحده لا شريك له، عاملاً الصالحات، فله على ذلك الثواب الجزيل عند ربه ﷻ في جنات النعيم، يأمن من الفزع الأكبر، وهو الخوف من عذاب القيامة، كما قال ﷻ: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٣، وقال ﷻ: ﴿ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴿٤٠﴾ ﴾ فصلت: ٤٠، وقال ﷻ: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سبأ: ٣٧.

والحسنة: الإيمان والعمل الصالح، وقال ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وقتادة: هي لا إله إلا الله، و ﴿ خَيۡرٞ ﴾ هنا ليس أفعل تفضيل، فليس شيء خيراً من لا إله إلا الله، كما قال عكرمة، وإنما المراد مضاعفة الثواب ودوامه؛ لأن العمل ينقضي، والثواب يدوم، فالخير: الثواب، وقيل: للتفضيل، أي ثواب الله ﷻ خير من عمل العبد وقوله، و ﴿ مَن ﴾ لابتداء الغاية أي له خير من الخيور، مبدؤه ونشوؤه منها أي من جهة هذه الحسنة، وقد رتب الله ﷻ على مجيء المكلف بالحسنة شيئين: الثواب والأمن من العذاب.

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

أي ومن أشرك بالله ﷻ وارتكب المعاصي، ومن لقي الله ﷻ مسيئاً لا حسنة له،

[1] تفسير المراغي للمراغي (20/ 25)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو قد رجحت سيئاته على حسناته، كل بحسبه، فيلقى في النار، ويقال لهم أي للكفار والعصاة: هل هذا إلا جزاء عملكم في الدنيا من شرك ومعصية؟"[1]

ويلاحظ أن هذه الآيات كلها في قمة البلاغة والفصاحة والإيجاز المفيد معاني عديدة متلاحقة، **قال الزمخشري:** "انظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن تنظيمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوي، وأخرس الشقاشق"[2]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. من علامات الساعة الكبرى خروج الدابة وكلامها للناس، والله ﷻ وحده الذي يعلم حقيقتها وتفاصيل خروجها، ويكون الناس كافرين عند خروجها.
2. المتكبرون في الدنيا يحشرون أذلاء مهانين يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.
3. يسأل الكفار أسئلة يوم القيامة للتوبيخ والتأنيب، فيكون جوابهم الصمت إقراراً بالذنب وشعوراً بالخزي والذل.
4. الكفار لا ينتبهون لآيات الله ﷻ التي حولهم في الدنيا؛ لأنهم صم بكم عمي، ولا يتفاعل مع آيات الله ﷻ إلا المؤمنون.
5. تقلب الليل والنهار وتناوبهما لمصلحة الناس وتنظيم حياتهم، والمؤمن يشكر الله ﷻ على هذه النعمة.

"6. إن مفاجآت يوم القيامة وأهوالها كثيرة وغريبة ومذهلة، فمن مقدماتها: إخراج دابة من الأرض عند استحقاق العذاب تخبر بأن أكثر الناس كانوا لا يصدقون بآيات الله ﷻ، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث إذا

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 46 – 47)
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 387)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"[1]

ثم ذكر الله ﷻ بعض الأمور الواقعة بعد قيام القيامة وهو حشر زمرة وجماعة من كل أمة، ممن يكذب بالقرآن وبالأدلة الدالة على الحق، فهم يوزعون أي يدفعون ويساقون إلى موضع الحساب، وقال قتادة: أي يرد أولهم على آخرهم، حتى إذا حضروا الموقف قال الله ﷻ: أكذبتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي، وبالآيات التي أقمتها دليلاً على توحيدي، ولم تعلموا بحقيقتها، وإنما أعرضتم عنها مكذبين جاهلين غير مستدلين؟ ثم يقول لهم تقريعاً وتوبيخاً: ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا ما فيها، ولكن وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم، فهم لا ينطقون، أي ليس لهم عذر ولا حجة.

ثم أقام الله ﷻ دليلاً على البعث والتوحيد والنبوة مبالغة في الإرشاد إلى الإيمان والمنع من الكفر، وهو خلق الليل للنوم والاستقرار، وخلق النهار المنير المشرق الذي يبصر فيه الناس الأشياء للحركة ونشاط الحياة وسعي الرزق، إن في ذلك لدلالات على قدرة الله ﷻ وتوحيده وإمكانه الحشر لقوم يؤمنون بالله ﷻ، أما وجه دلالته على التوحيد فهو أن التقليب من النور إلى الظلمة ومن الظلمة إلى النور بدقة متناهية لا يحصل إلا بقدرة قاهرة عالية، وأما وجه دلالته على الحشر فلأنه لما ثبتت قدرة الله ﷻ على هذا التقليب فهو قادر على القلب من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة، وأما وجه دلالته على النبوة فلأنه ﷻ يقلب الليل والنهار لمنافع الناس، وفي

[1] رواه مسلم (1/ 137) حديث رقم 158

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام إلى الناس منافع عظيمة، فما المانع من بعثتهم إلى الناس لتحصيل تلك المنافع؟"[1]

"7. تأكيد آية الدابة والتي تخرج من صدع من الصفا وقد وجد الصدع الآن فيما يبدو وهي الأنفاق التي فتحت في جبل الصفا وأصبحت طرقاً عظيمة للحجاج، وعما قريب تخرج، وذلك يوم لا يبقى من يأمر بالمعروف ولا من ينهى عن المنكر فيحق العذاب على الكافرين.

8. تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر وصف لها.

9. ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون.

10. في آية الليل والنهار ما يدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء."[2]

"11. تقرير عقيد البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة.

12. بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان.

13. فضل الشهداء حيث لا يحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون.

14. تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة، حسنة التوحيد وسيئة الشرك."[3]

"15. إن نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة مرعبة وهي النفخة الأولى ونفخة الصعق يموت من رعبها الخلائق كلهم إلا من شاء ربك سبحانه وتعالى من الملائكة أو الناس، وهي العلامة الثانية لقيام القيامة.

---

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (38 – 40)
[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 46)
[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 48)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال القرطبي: "والصحيح في الصور: أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، قال مجاهد: كهيئة البوق، والصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان، لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما ترجع إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لهما، أي فزعوا فزعاً ماتوا منه، ثم تأتي نفخة البعث وهي النفخة الثانية التي يحي بها العباد ليجتمعوا في أرض الجزاء"[1]

ولا يتخلف أحد من الخلائق من عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة عن المثول حياً أمام الله سبحانه وتعالى، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ أي ذليلين صاغرين.

16. وبعد قيام القيامة وبعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يحدث تسيير الجبال من أماكنها، ثم تتلاشى وتتبدد كالعهن، أي الصوف المندوف. يقال: إن الله سبحانه وتعالى وصف الجبال بصفات مختلفة، ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه فأول الصفات: الاندكاك، وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك إذا صارت السماء كالمهل (أي الزيت المذاب) وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما فقال: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ ﴾ المعارج: ٨ - ٩، والحال الثالثة: أي تصير كالهباء، وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن. والحال الرابعة: أن تنسف، والحال الخامسة: أن الرياح ترفعها على وجه الأرض، فتظهرها شعاعا في الهواء كأنها غبار، والحال السادسة: أن تكون سراباً"[2]

17. إن تغيير معالم الأرض من جبال وغيرها، وتبديد السماوات وغير ذلك من فعل الله عز وجل الذي أتقن بصنعه كل شيء، وأودع فيه من الحكمة ما أودع.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 239)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (13/ 242 – 243)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

18. الناس صنفان يوم القيامة: سعداء وأشقياء، فالسعداء: هم المؤمنون الذين عملوا الأعمال الصالحة، وهؤلاء لهم الثواب الجزيل، والأمن من عذاب الله ﷻ. والأشقياء: هم الكفار والمشركون والعصاة الذين ارتكبوا في الدنيا السيئات، وهؤلاء يطرحون في النار على وجوههم، ويقال لهم: هل هذا إلا جزاء أعمالكم؟

والثواب الممنوح من الله ﷻ للسعداء وهو الخير اسم جنس، فسر بمضاعفته بعشرة أمثاله في آية أخرى، فإن الله ﷻ يعطي بالحسنة الواحدة عشراً، أما جزاء السيئة فلا يضاعف فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٠"[1]

19. كل الناس يأتون صاغرين أذلاء خائفين وجلين ويأتي المؤمنون الموحدون كاملوا الإيمان آمنين من فزع ذلك اليوم.

20. أهوال يوم القيامة مخيفة، ولابد للمؤمن من أن يستعد لها بالطاعة، وأن يديم التفكير فيها.

21. أجر الحسنات وثوابها مضاعف فضلاً من الله ﷻ، وعقاب السيئات بالمثل عدلاً من الله ﷻ.

22. المؤمنون يأمنون من الفزع والخوف يوم القيامة؛ لأنهم استقاموا في الدنيا على طاعة الله ﷻ.

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 47 – 48)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مهمة النبي ﷺ
ومن تبعه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البصيرة الثانية عشر

مهمة النبي ﷺ ومن تبعه

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

النمل: ٩١ - ٩٣

"قل لهم يا محمد ﷺ ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ أي: مكة المكرمة التي حرمها وأنعم على أهلها فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول، ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ من العلويات والسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده، ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: أبادر إلى الإسلام، وقد فعل ﷺ فإنه أول هذه الأمة إسلاماً وأعظمها استسلاماً.

وأمرت أيضاً ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ﴾ عليكم ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا ألفاظه ومعانيه فهذا الذي علي وقد أديته، ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ نفعه يعود عليه وثمرته عائدة إليه ﴿ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ وليس بيدي من الهداية شيء، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصاً أهل الاختصاص والصفوة من عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم ﷻ أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم، ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنفال: ٤٢

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكماً تحمدونه عليه ولا يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه"[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 611

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قل -أيها الرسول ﷺ- للناس: إنما أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة، وهي "مكة"، الذي حَرَّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها، وله ﷻ كل شيء، وأُمرت أن أعبده وحده دون مَن سواه، وأُمرت أن أكون من المنقادين لأمره، المبادرين لطاعته، وأن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بما فيه واتبع ما جئت به، فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه، ومن ضلَّ عن الحق فقل -أيها الرسول ﷺ-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله ﷻ وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل عليهم السلام الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء، وقل -أيها الرسول ﷺ-: الثناء الجميل لله ﷻ، سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض، فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق، وتبيِّن لكم الباطل، وما ربك ﷻ بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

"﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ أمر الرسول ﷺ بأن يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة، إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه ﷻ، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ ﴾ خلقاً وملكاً، ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام، ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً، أو اتباعه، ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ باتباعه إياي في ذلك، ﴿ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ ﴾ فإن منافعه عائدة إليه، ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ بمخالفتي. ﴿ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ما على الرسول ﷺ إلا البلاغ وقد بلغت"[1]

قال المراغي: "بعد أن بين ﷻ أحوال المبدأ والمعاد، وفصّل أحوال القيامة- أمر رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين هذه المقالة تنبيهاً لهم إلى أنه قد تمّ أمر الدعوة بما لا مزيد عليه، ولم يبقَ له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله ﷻ والاستغراق في مراقبته، غير مبال بهم ضلّوا أو رشدوا، صلحوا أو فسدوا، إثارة لهممهم بألطف وجه إلى تدارك أحوالهم وتحصيل ما ينفعهم، والتدبر فيما يقرع أسماعهم من باهر الآيات التي تكفي في إرشادهم، وتشفى عللهم وأمراضهم"[2]

"هم كانوا يدينون بحرمة البلدة الحرام والبيت الحرام وكانوا يستمدون سيادتهم على العرب من عقيدة تحريم البيت ثم لا يوحدون الله ﷻ الذي حرمه وأقام حياتهم كلها عليه، فالرسول ﷺ يقوّم العقيدة كما ينبغي أن تقوّم، فيعلن أنه مأمور أن يعبد رب هذه البلدة الذي حرمها، لا شريك له ويكمل التصور الإسلامي للألوهية الواحدة، فرب هذه البلدة هو رب كل شيء في الوجود ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ ﴾ ويعلن أنه مأمور بأن يكون من المسلمين، المسلمين كل ما فيهم له، لا شركة فيهم لسواه، وهم

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 169)
[2] تفسير المراغي للمراغي (20/ 26)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرعيل الممتد في الزمن المتطاول من الموحدين المستسلمين، هذا قوام دعوته، أما وسيلة هذه الدعوة فهي تلاوة القرآن:

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فالقرآن هو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها كذلك، وقد أمر أن يجاهد به الكفار، وفيه وحده الغناء في جهاد الأرواح والعقول، وفيه ما يأخذ على النفوس أقطارها، وعلى المشاعر طرقها وفيه ما يزلزل القلوب الجاسية ويهزها هزاً لا تبقى معه على قرار، وما شرع القتال بعد ذلك إلا لحماية المؤمنين من الفتنة، وضمان حرية الدعوة بهذا القرآن، والقيام على تنفيذ الشرائع بقوة السلطان، أما الدعوة ذاتها فحسبها كتابها.

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾

وفي هذا تتمثل فردية التبعة في ميزان الله ﷻ، فيما يختص بالهدى والضلال، وفي فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان، التي يضمنها الإسلام، فلا يساق سوق القطيع إلى الإيمان، إنما هي تلاوة القرآن، وتركه يعمل عمله في النفوس، وفق منهجه الدقيق العميق، الذي يخاطب الفطرة في أعماقها، وفق ناموسها المتسق مع منهج القرآن"

"﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ أي قل لهم أيها الرسول ﷺ: إنما أمرت أن أعبد رب مكة الذي حرمها على الناس، فجعلها شرعاً وقدراً حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد فيها صيد، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر طيرها، ولا يخوف فيها خائف، يجبى إليها ثمرات الدنيا من كل ناحية، وخص مكة بالذكر تشريفاً لها، لأن أول بيت وضع للعبادة كان فيها، كما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ﷻ: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ قريش: ٣ - ٤، وفي هذا توبيخ لأهل مكة على ترك عبادة الله ﷻ، والاتجاه نحو عبادة الأصنام، ونظير الآية: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يونس: ١٠٤، وقد أبان النبي ﷺ مظاهر تحريم مكة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها"[1]، أي عشبها الرطب.

﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ أي له ﷻ كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً، دون أي شريك، وهذا من عطف العام على الخاص، أي هو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو.

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي وأمرني ربي ﷻ أن أكون من الموحدين، المخلصين، المنقادين لأمره، المطيعين له، ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ ﴾ أي وأمرني ربي ﷻ أن أتلو القرآن على الناس، وأن أتلوه وحدي ليل نهار، لتتكشف لي أسراره، وأتعرف دائماً على أدلة الكون المودعة في آياته، فيزداد إيماني، وتشرق نفسي.

﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ أي فمن اهتدى إلى الحق والإيمان فإنما يهتدي لأجل نفسه، ومن آمن برسالتي واتبعني فقد رشد، وأمن عذاب ربه ﷻ.

[1] رواه البخاري (4/ 104) حديث رقم 3189، رواه مسلم (2/ 986) حديث رقم 1353

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ أي ومن ضل وأخطأ طريق الحق والإيمان والرشاد، وكذب بدعوتي وبما جاءني من عند الله ﷻ وهو القرآن، فعليه وزر ضلاله، وإنما أنا من المنذرين المخوفين قومهم عذاب الله ﷻ، وليس علي إلا الإنذار والتبليغ، وقد أديت المهمة وأبلغتكم ما يوحى إلي، وخلصت من العهدة، وحسابكم على الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ الرعد: ٤٠، وقال: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ هود: ١٢"[1]

بعد ذكر قاعدة الحساب، وأساس الثواب والعقاب يوم القيامة، يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يلخص للكفار دعوته ومنهجه ووظيفته وواجبه، ويبلغهم ذلك ليقيم عليهم الحجة.

يقول الله ﷻ له: قل لقومك: أمرني ربي ﷻ أن أعبده وحده لا شريك له، وهو رب بلدتكم هذه "مكة" وهو الذي جعلها حرماً آمناً، يأمن فيها الإنسان على نفسه وماله، وحرم الصيد والقتل وقطع الشجر فيها، والله ﷻ المالك لكل شيء، ليس له في ذلك شريك، وبما أن الله ﷻ حرم بلدتهم وجعلها واحة أمان، فعليهم أن يعبدوه وحده، ولكنهم قابلوا هذا بالكفر حيث عبدوا من دونه الأوثان والأصنام.

ويتابع الرسول ﷺ كلامه مع قومه، فيقول: وأمرني الله ﷻ أن أكون من المسلمين، الذين دخلوا في دينه واستسلموا له خاضعين، كما أمرني أن أكثر من تلاوة القرآن، لأزداد صلة به، وأن أقرأ القرآن على الناس لأبلغهم إياه، قد تلوت القرآن عليكم، وبلغتكم الدعوة، وأقمت عليكم الحجة، وعليكم أن تختاروا، فمن اختار منكم الإيمان، واهتدى للحق، فإنما يهتدي لنفسه، وهو الذي يستفيد من ذلك، وينقذ

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 51 – 52)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نفسه من النار، وينال الجنة برحمة الله ﷻ، ومن رفض منكم الإيمان، وأصر على الكفر والضلال، فإنما يضل عليها، وينال عاقبة ذلك النار والعذاب!

وما أنا إلا منذر، بلغتكم الدعوة، وخلصت من العهدة، ولا أقدر على جعل الإيمان في قلوبكم، فإن رفضتم دعوتي كنتم من الخاسرين الهالكين.

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾

يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لقومه: الحمد لله على ما أنعم على عباده من نعم، منها نعم دينية ومنها نعم دنيوية، وأحمده حمداً خاصاً على ما أنعم عليَّ من نعمة النبوة، وقد بلغتكم ما أمرني بتبليغه، وسيريكم الله ﷻ آياته الدالة على وحدانيته وقدرته، ويقدم الأدلة والبراهين الدالة على صدق دعوتي، لتتَّبعوني وتدخلوا في ديني، والله ﷻ عالم بكل أعمالكم، شهيد عليكم وأنتم تعملونها، لا يغفل عنها ولا يتركها، وإنما يسجلها ويحصيها، ثم يحاسبكم عليها يوم القيامة، فعليكم أن تخلصوا أعمالكم لله ﷻ، ولا تفعلوا ما حرمه عليكم! وصدق الله ﷻ، ففي كل يوم يري عباده بعض آياته في الأنفس والآفاق، الدالة على الحق والخير، قال ﷻ:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣

قال المراغي: " أمر ﷻ رسوله ﷺ بترغيب قومه وترهيبهم فقال:

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ أي وقل الحمد لله على ما أفاض عليّ من نعمائه التي من أجلّها نعمة النبوة المستتبعة لضروب من النعم الدينية والدنيوية، ووفقني لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها، بالآيات البينة، والبراهين الساطعة، ووفقني لاتباع الحق الذي أنتم عنه عمون ﴿ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَا ﴾ أي سيريكم ربكم ﷻ آيات عذابه وسخطه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتعرفون بها حقيقة نصحي، ويستبين لكم صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد حين لا تجدى المعرفة، ولا تفيد التبصرة شيئاً، ثم ذيل هذا بتقرير ما قبله من الوعد والوعيد بقوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ أي وما ربك ﷻ بغافل عما يعمله هؤلاء المشركون ولكنه مؤخر عذابهم إلى أجل هم بالغوه، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فلا يحزنك تكذيبهم فإني لهم بالمرصاد، وأيقن بأني ناصرك وخاذل عدوك، ومذيقهم الذلّ والهوان"[1]

"﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ مقدمة لما يتحدث عنه من صنع الله ﷻ: ﴿ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَا ﴾ وصدق الله ﷻ، ففي كل يوم يري عباده بعض آياته في الأنفس والآفاق، ويكشف لهم عن بعض أسرار هذا الكون الحافل بالأسرار، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ وهكذا يلقي إليهم في الختام هذا الإيقاع الأخير، في هذا التعبير الملفوف، اللطيف، المخيف، ثم يدعهم يعملون ما يعملون، وفي أنفسهم أثر الإيقاع العميق: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾"

"﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقني للعمل به، ﴿ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض، أو في الآخرة، ﴿ فَتَعۡرِفُونَهَا ﴾ أنها آيات الله ﷻ ولكن حين لا تنفعكم المعرفة، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم"[2]

---

[1] تفسير المراغي للمراغي (20/ 28)
[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 169 – 170)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

"﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَا ﴾ أي وقل أيها الرسول ﷺ: لله الحمد الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، والإنذار إليه، ولله الحمد على ما أنعم على من نعمة النبوة، وعلى ما علمني ووفقني لتحمل أعباء الرسالة والعمل بما أنزل علي، وإنه ﷻ سيريكم آياته الدالة على عظمته وحكمته وقدرته وأمارات عذابه وسخطه، ويتبين لكم صدق دعوتي، فتعرفون كل ذلك، ولكن حين لا ينفعكم الإيمان، ونظير الآية: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾ فصلت: ٥٣

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ وما الله ﷻ بغافل عما يعمله المشركون وغيرهم، بل هو شهيد على كل شيء، ولكن يؤخر عذابهم إلى أجل على وفق إرادته وحكمته. وهذا تقرير لما سبق من الوعد والوعيد، وتبشير للنبي ﷺ بأن الله ﷻ ناصره ومخزي أعدائه الكافرين"[1]

إرشادات وهدايات وفوائد الآيات

1. يقدم الله ﷻ لنا الآيات والأدلة على الحق باستمرار، وعلينا الالتفات لها وتدبرها.

2. لا يفارق المؤمن شعوره بأن الله ﷻ يراقبه ولا يغفل عنه، ليستقيم على طاعته.

"3. أمر النبي ﷺ ومثله أمته في هذه الآيات بأوامر ثلاثة هي:

أ. تخصيص الله ﷻ وحده بالعبادة دون اتخاذ شريك له، ووصف الله ﷻ نفسه بأمرين:

[1] التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 52 – 53)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحدهما: أنه رب هذه البلدة أي مكة، واختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها؛ لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها، دالاً على أنها موطن نبيه ﷺ ومهبط وحيه، وقد حرمها لتحريمه فيها أشياء على من يحج، ولأن اللاجئ إليها آمن، ولأنه لا ينتهك حرمتها إلا ظالم، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها.

والثاني: وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً، فهو خالق لجميع النعم، ومالك جميع من في الكون، ومتصرف بملكه كما يشاء ﷻ.

ب. أن يكون من المسلمين: أي المنقادين لأمره، الموحدين له.

ج. أن يتلو القرآن، أي يقرأه لنفسه وعلى الناس لتبليغهم إياه، فمن اهتدى في هذه الأصول الثلاث المقررة في هذه السورة وهي التوحيد والحشر والنبوة فله ثواب هدايته، ومنفعة اهتدائه راجعة إليه، ومن ضل أو انحرف عن هذه الأصول، فما على الرسول ﷺ إلا البلاغ المبين، وما هو إلا رسول منذر من جملة المنذرين، أي المخوفين قومهم من العذاب، ثم ختم ﷻ السورة بهذا التوجيه الحميد لرسوله ﷺ ولكل مؤمن وهو أن يحمد الله ﷻ على نعمه وعلى هدايته، والله ﷻ سيري خلقه آياته في أنفسهم وفي غيرهم، فيعرفون بها دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسهم وفي السموات وفي الأرض"[1]

4. بيان وظيفة الرسول ﷺ وأنها عبادة الله ﷻ والإسلام له، وتلاوة القرآن إنذاراً وإعذاراً وتعليماً وتعبداً به وتقرباً إلى منزله ﷻ.

5. بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة والحرم.

[1] التفسير المني للدكتور وهبة الزحيلي (20/ 53 – 54)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

6. الندب إلى حمد الله ﷻ على نعمه الظاهرة والباطنة ولا سيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها.

7. بيان أن عوائد الكسب عائد على الكاسب خيراً كانت أو شراً.

8. بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما علم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب، فظهر كما أخبر"[1]

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (4/ 50)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

نحمد الباري ﷻ ونشكره على فضله ونعمه ورحمته، ها نحن نخط بأقلامنا الخطوط الأخيرة لهذا الكتاب بعد رحلة كبيرة من الجهد والتعب والسهر، وقد عرضنا بهذا الكتاب بعد بحث وجهد عميق موضوع (**بصائر قرآنية في سورة النمل**).

هذا وقد كانت رحلة ممتعة تستحق التعب والعناء، وهي كانت رحلة ارتقت بالفكر والعقل وقد عرجت بالأفكار المهمة لهذا الموضوع، وما هذا الجهد إلا نقطة في بحر العلم وجهد العلماء الذين سبقونا في العلم والبحث، وهذا الجهد هو قليل على ما كتبنا، ولكن يكفينا شرف المحاولة، فإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وإن وفقنا فمن الله ﷻ.

وأخيراً لقد تقدمنا باليسير في العلم، ونرجو أن نكون قد وفقنا وينال رضاكم، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ النبي الأمي وخير معلم والهادي والمبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبة أجمعين.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	3
رسالة	4
المقدمة	5
بطاقة تعريف	8
البصيرة الأولى: القرآن مبشر للمؤمنين منذر للكافرين	14
البصيرة الثانية: موسى عليه السلام وبعض معجزاته	25
البصيرة الثالثة: داود وسليمان عليهما السلام ونعم الله سبحانه وتعالى عليهما	39
البصيرة الرابعة: سليمان عليه السلام مع الهدهد	59
البصيرة الخامسة: سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ بلقيس	76
البصيرة السادسة: صالح عليه السلام مع قومه	98
البصيرة السابعة: لوط عليه السلام مع قومه	119
البصيرة الثامنة: من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى في الكون	134
البصيرة التاسعة: موقف المشركين من البعث	162
البصيرة العاشرة: مهام القرآن ومهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحدود تأثيره في الناس	180
البصيرة الحادية عشر: من مشاهد يوم القيامة	196
البصيرة الثانية عشر: مهمة النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه	224
الخاتمة	236
المحتويات	237

تم بحمد الله